الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

قصيدة " فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبْ " لأبي الطيب المتنبي دراسة دلالية.

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغة عربية

تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبين:

*- شباح منير

*- دفوس محمد أكرم

إشراف الدكتور:

سليم مزهود

السنة الجامعية: 2017/2016

صلة
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

سورة البقرة آية 286

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمِ

دعـــــاء

اللّهمّ جنبنا الإخفاق واجعل لنا النجاح ركبا نمتطيه وحلما نبتغيه ومنهجا نسير عليه وغاية سنصلها بإذنك ومشيئتك.

إلهي كيف أخيّب وقد وفدت إليك، أم كيف تخيب آمالي وأنت الحفي بي.

اللّهمّ ارزقنا عن كل حرف من حروف لغة كتابك الكريم وتنزيلك العظيم خصلة وشيمة، اللّهمّ بالألف آلفا، وبالباء بركة، وبالتاء توبة، اللّهمّ بالجيم جمالا، وبالحاء حكمة، اللّهمّ بالخاء خيرا، وبالدال دليلا، و بالذال ذكاء، وبالراء رحمة، وبالزاي زكاة، اللّهمّ بالسين سعادة، وبالشين شمالا، وبالصاد صدقا، اللّهمّ بالفاء فلاحا، وبالكاف كرامة، وباللام لطفا، اللّهمّ بالميم موعظة، وبالواو وقارا، اللّهمّ بالهاء هداية، و وبالياء يقينا.

اللّهمّ اجعلنا من ركب نبيك ووفقنا لأن نبلغ عنه ولو آية، آية العلم وأن نكون أحسن من استلم الراية لنكون خير رسول للمعرفة والهداية

آميـــــــن يـــــاربّ العـــــــالمين

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والذي منّ علينا بتمام هذا البحث، وذلل لنا كل العقبات والصلاة والسلام على خير الهدى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلـــم.

لا يسعنا وقد تسنا لنا الشكر إلا أن أشكر الله عز وجل على فضله الجلل، كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذنا وقدوتنا " الدكتور سليم مزهود " الذي غمـــرنا كرما وزادنا شرفا حين تفضل وأشرف على بحثنا هذا.

كما نتقدم إلى أساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة " الدكتورة وردة مسيلي " و " الدكتور بشيري عمار" اللذيْن تفضلا بقبول مناقشة مذكرتنا واثرائها بآرائهما القيمة.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشكر كل أساتذتنا وإلى كل من تتلمذنا على أيديهم إلى اللذين قدموا لنا العلم عبر مراحل حياتنا الدراسية فكانوا لنا ينابيع عطاء ...

إليهم جمـــــــــيعا.

إلى كل من قدم لنا مساعدة أثناء إنجازنا لهذه المذكرة عظيم شكرنا وامتناننا.

محمد أكرم ومنير

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع، والذي أُنجز بتوفيق من الله وحده ....

إلى والديّ، رحمة الله عليهما، من كانا سببا في وجودي .... وتربيتي

إلى الزوجة والأولاد، والإخوة والأخوات .....

إلى الأستاذ المحترم الدكتور سليم مزهود، وكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي....

إلى الزميل أكرم دفوس، وكل طلبة ماستر علوم اللسان سنة ثانية.....

إلى جميع من ساندنا بالكلمة الطيبة والتشجيع .....

" وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا " الإسراء 85

منير

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي ... إلى الذين أناروا لي الشموع لأشق بها سراديب الظلام إلى من قال فيهما الرحمان: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾. إلى أبي وأمي - أطال الله في عمرهما لأني لا أملك إلا أن أحبهما أكثر فأكثر.

إلى من ساعدوني وأرشدوني وعلى الخير عاهدوني فمنهم تعلمت أن الحياة اقدام في إقدام .... إلى أخي وإخوتي الأعزاء.

إلى أستاذي سابقا وزميلي في الدراسة " الأستاذ منير شباح "جزاه الله خيرا.

ولا أنسى ذكر زملائي في الدراسة منذ بداية مشواري الدراسي وكل من أسهم وأعانني من قريب أو بعيد في بلوغ غايتي وهدفي وخاصة أستاذي المشرف " الدكتـــور سليم مزهود ".

وأتـــمنى التوفيق للجـــــــميع

ولهم جزيل الشكر.

محمد الكريم

مقدمة

مقدمة:

من الضروري الاهتمام بدراسة الشعر وتسليط الضوء على الشعراء خاصة إذا تعلق الأمر بشاعر كأبي الطيب المتنبي الذي لا تزال الكثير من قصائده تحتاج إلى دراسات متعددة للبحث عن دلالتها والغوص في أعماقها وتحليلها لغويا وأدبيا، ولهذا اخترت واحدة من أهم قصائده وهي قصيدة " فهمت الكتاب أبرّ الكتب " لدراستها دراسة دلالية والبحث في معانيها المتعددة والمتنوعة، كما أن الدلالة تعد أهم الفروع أو المستويات اللغوية الأخرى (كالمستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي) حيث أن هدفها هو تبيين المعنى وإظهاره على نسق واضح سهل الفهم، ومن هنا رسم عنوان هذه المذكرة بـ: " **قصيدة فهمت الكتاب أبرّ الكتب لأبي الطيب المتنبي دراسة دلالية** ".

ولقد تطلبت هذه الدراسة الوقوف على أهم أنواع الدلالة التي تحملها البنية اللغوية للقصيدة، وهي الدلالة الصوتية، والدلالة النحوية، والصرفية، والمعجمية، ولأن من غايات هذه الدراسة الدلالية التركيز على تحليل السمات الدلالية البارزة لمفردات القصيدة، والوصول إلى دلالتها الحقيقية، فإن هذا جعل البحث أكثر اتساعا من جهة، وأكثر صعوبة من جهة أخرى، نظرا للغموض الذي يتسم به شعر المتنبي.

كذلك من أهداف هذا البحث هو الوصول إلى الدلالات المتعددة التي تحملها أغلب مفردات القصيدة باعتبارها تفي بالغرض لاكتشاف الدلالة الحقيقية التي يرمي إليها الشاعر والتي يريد إيصالها للمتلقي من خلال هذه القصيدة كما يرمي البحث إلى تبيين مدى مساهمة لغة الشاعر الخاصة وأسلوبه المتميز في تحقيق الدلالة وتبيين أسرار النص الشعري ومظاهر استعماله والكشف عن مدى تصرف الشاعر فيها دون الخروج عن قاعدتها والأثر الذي يتركه فيها هذا التصرف.

وقد تنوعت مصادر هذه المذكرة وتشعبت مراجعها بتنوع فصولها فمنها الدلالية والصوتية والنحوية واللسانية والبلاغية ... وغيرها.

ومع تنوع المصادر تنوعت الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث فأولها تلك التي تعلقت بالدراسات التي أنجزت حول المتنبي.

أما خطة بحثنا التفصيلية فقد جاءت مقسمة حسب أنواع الدلالة في قصيدة " فهمت الكتاب أبرّ الكتب " والتي تضمنت الدلالة الصوتية، فالدلالة النحوية والصرفية، ثم الدلالة المعجمية، لمفردات القصيدة فكان محتوى المذكرة مكونا من فصلين في كل فصل ثلاث مباحث، يسبق هذين الفصلين مقدمة وتعقبهما خاتمة.

ففي الفصل الأول تناولنا في مبحثه الأول التعريف بالشاعر أبي الطيب المتنبي، وفي مبحثه الثاني تناولنا مفهوم الشعر، وشعرية المتنبي، ثم ختمنا هذا الفصل بمبحثٍ ثالثٍ وبإيجاز، مفهوم الدلالة لغة واصطلاحا، ثم تطرقنا لذكر بعض أقسام الدلالة وأنواعها، ثم ختمنا هذا المبحث بتعريفنا بالحقل الدلالي والمنزلة التي يكتسبها علم الدلالة.

أما في الفصل الثاني تناولنا في مباحثه الثلاثة أنواع الدلالات والتي تمثلت في الدلالة الصوتية، والدلالة النحوية والصرفية، والدلالة المعجمية في قصيدة فهمت الكتاب أبرّ الكتب كما بدأنا في كل مبحث بمدخل نظري مرورا بعد ذلك إلى الجانب التطبيقي.

ولا يفوتنا في الأخير أن نتقدم بالشكر الخالص للأستاذ " الدكتور سليم مزهود " المشرف على بحثنا هذا عرفانا وتقديرا لما أبداه لنا من ملاحظات وتوجيهات رشيدة ونصائح مفيدة أنارت لنا طريق البحث رغم الظرف الذي تمر به عائلته نسأل الله أن يشفي عائلته في القريب العاجل وأن يسترها من كل مكروه. دون أن ننسى الأستاذين المشرفين " الدكتورة وردة

مسيلي " والدكتور" بشيري عمار" لقبولهما مناقشة بحثنا البسيط والمتواضع.

نسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل فهو منه وإليه سبحانه وتعالى إنّه وليّ التوفيق.

الفصل الأول

سيرة المتنبي، الشعر مفهوما، وشعرية المتنبي

المبحث الأول: سيرة المتنبي.

المبحث الثاني: الشعر مفهوما، وشعرية المتنبي

المبحث الثالث: التعريف بعلم الدلالة.

المبحث الأول: سيرة المتنبي.

1. التعريف بالمتنبي:

ليس من السهل بما كان الإحاطة بحياة الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، " نادرة الفلك، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر...سافر كلامه في البدو والحضر، وكادت الليالي تُنشده، والأيام تحفظه"[1]؛ إذ هو القائل:

وَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ مِنْ رُوَّاةِ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

فَسَـارَ بِهِ مَنْ لاَ يَسِيرُ مُشَمِّرًا وَغَنَّى بِـهِ مَـنْ لاَ يُغَـنِّي مُغَرِّدًا[2]

ولا من اليسير سبر أغوار أشعاره التي تزخر بالمعاني المبتكرة والأمثال السائرة؛ وهو القائل:

وَمَا تَسَعُ الْأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِهَا وَمَاْ تُحْسِنُ الأَيّامُ تَكتُبُ مَا أُمْلِـي[3]

ولذا سوف نحاول في هذه العُجالة اقتفاء بعض معالم حياته من خلال شعره، وتلمُّس بعض الأحداث التي عايشها، أو تلك التي شهدها فخلّدَتها قوافيه بحروف تنطق – كما قيل – عن خواطر الناس.

أ. نسب المتنبي:

جَمَعْتُ بَيْنَ اسْمِ أَحْمَدَ والسُّقـ ـمِ وَبَيـنَ الْجُـفُـونِ والتَّسْهِيدِ [4]

هو " أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعْفِي الكِندي الكوفي...وقيل هو

---

[1] أبو منصور عبد الملك الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح د. مفيد محمد قميحة، ج1، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص139.

[2] أبو الطيب المتنبي: الديوان، تق د. اسماعيل العقباوي، د. ط، دار الحرم للتراث، الرياض، 2007، ص279.

[3] المرجع نفسه، ص212.

[4] المرجع نفسه، ص13.

أحمد بن الحسين بن مـرّة بن عبد الجبار"[1]. كنيته أبو الطيب ولقبه المتنبي. وبن وجُعفَى بطنٌ من سعد العشيرة بن مَذحِج؛ قبيلة يمانية من بني كهلان، قدمت للكوفة بالعراق، وأطلقت اسم " كِندة " على الحيِّ الذي قَطَنتْه، تيمُّناً بكندة وكِندة معروفة باليمن. ولا يُعرَفُ عن أمه سوى أنها من همذان باليمن. " نقول هذا دون أن نُغفل أن المتنبي أبى أن يُعلن عن نسبه لأنه عاش متنقّلا بين العشائر والبوادي وكان يخشى أن ينال منه بعض الأعراب إذا هو انتسب صراحةً إلى هذا القبيل أو ذاك من أحياء العرب ".[2]

أَنَا ابْن مَنْ بَعْضُهُ يَفُوْقُ أَبَا الـ بَاحِثِ والنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ[3]

ب.نشأته:

المتنبي إذن من أهل الكوفة مدينة العلم ومعقل الأدباء والعلماء، وبها وُلد سنة 303 هـ (915 م)، بمحَلَّةٍ يُقالُ لها كِندة، لأبوين فقيرين: فأبوه عمِل سقَّاءً. والمرجّح أنّ أمّه ماتت وهو طفل فقامت له جدّته مقام الأم.

ترعرع المتنبي بالبادية، أين تشرَّبَ العربية عن أهلها، فتفتّقت بها ملَكَتُهُ اللغوية؛ إذ كان لا يُسْألُ عن شيءٍ إلّا واستشهد فيه بكلام العرب. سافر به أبوه إلى الشام في صباه، إثر نهبِ القرامطة الكوفةَ سنة 312هـ، وظلّ هنالك عامين وألحَقَهُ بمدارس العلويين " المكاتب «، وبها نَظَمَ أولى أشعاره وسِنّهُ لم يتجاوز التاسعة، وكانت أولى أبياته في الغزل، إذ يقول؛

أَبْلَى الهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الهَجْرُ بَيْنَ الجَفْنِ وَالوَسَنِ [4]

على أنّه لم يلبث أن ترك الكوفة إلى بغداد سنة 316هـ، فامتدح العديد من الأشراف والمشايخ بها، ومازال يتنقّلُ بين الشام والعراق، فالتقى الكثير من أئمّةِ العلم وأخذ عنهم، فأحاط بأيام

[1] أبو العباس بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح احسان عباس، مج1، د ط، دار صادر، بيروت، 1987، ص120.

[2] اليازجي ناصيف: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، د ط، دار الأرقم، بيروت، د ت، ص6.

[3] ديوان المتنبي، ص 120.

[4] ديوان المتنبي، ص3.

العرب وأنسابهم وعاداتهم، وألمَّ بأوابد اللغة وشواردها، واطَّلَعَ على غريبها وحُوشِيِّها حتى قيل: " إن الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوماً: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى؟ فقال المتنبي في الحال: حِجْلى وظربى؛ قال الشيخ أبو علي: فطالعتُ كتب اللغة ثلاث ليال علِّي أجد لهذين الجمعين ثالثا، فلم أجد "[1]

كان المتنبي شديد الحافظة، حفظ شعر ابن الرومي، وكان لهذا الحفظ أثر كبير في تكوين الملكة الشعرية في نفسه. ويروى أنه حفظ رسالة وهو يتصفحها عند الورّاق.

ثم لم يلبث أن تُوفِّي والده، فهام بين العراق والشام يصاحب الأعراب في البوادي.

أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قُتُودِي والغُرَيْرِيَّ الجُلاَلاَ

عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِيأُ وَجِّهُهَا جَنُوبَا أَوْ شَـمَالاَ[2]

ج. حياته:

وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِـالنَّاسِ، رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ

فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِـه وَلاَ فِي الرَّدَى الجَارِي عَلَيْهِمْ بِآثِمِ[3]

عاش المتنبي أيام شبابه في شظف شديد، وخابت آماله فيما كان يسعى إليه من المجد، إذ بلغ به هوان حاله أن أُثِيبَ بدينارٍ واحدٍ عن شعرٍ قاله في أحد ممد وحيه، وهو علي بن منصور الحاجب؛ وسُمّيت القصيدة بالدينارية ومطلعها:

بِأَبِي الشُّمُوسِ الجَانِحَاتِ غَوَارِبَا اللاَّبِسَاتِ مِنَ الحَرِيرِ جَلاَبِبَا[1]

---

[1] أبو العباس بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح احسان عباس، مج1، د ط، دار صادر، بيروت، 1987، ص121.

[2] ديوان المتنبي، ص106

[3] نفس المصدر، ص11.

ومن المعروف أن عصر المتنبي عرف اضطرابات كثيرة نتيجة حملات الترك والمغول، ومن هجومات القرامطة على الكوفة؛ وساءت معها أحوال الناس، فضاعت هيبة الخليفة، وكثُرَت الفتن بتكاثر القوميات، وتناثرت الدويلات هنا وهناك؛ فتردّت الأوضاع وساد العبيد والموالي والخدم، وتدخلت النساء في مقاليد الحكم؛ فصار الخروج على الحُكّام أيسر ما يكون. فتفرق المال بين الدويلات، وساد الفقر والعوز.

إلا أنه جدير بالذكر أن كثرة الأمراء استدعت بروز حواضر جديدة، فاهتم هؤلاء الحُكّام باستجلاب الأدباء والفلاسفة لتقوية نفوذهم السياسي؛ فنما الفكر وعلا شأن العلم إلى أقصى حدوده. ولعلّ هذه من المفارقات التي يندر حدوثها في حياة الأمم.

كان المتنبي يرقُبُ الأحداث عن كثب، إذ كثرت الدعوات من شتى الفرق: باطنية، قرامطة، إسماعيلية و سواهم؛ «حتى باتت الخواطر على تنظُّرٍ دائم لرسول تبعثـه السماء"[2]و لكثرة خلّانه و أصحابه من البدو في السَّماوة بأطراف الكوفة إلى مشارف الشام– من بني كلب و كلاب – حدّثتْهُ نفسه أن يدّعي النُّبوَّةَ؛ " و تُروى له معجزات كان يُمَخْرِقُ بها على أهل البادية، فقد كان مشّاءً قويًّا يسير من محلّة إلى محَلّة، و يروي أخبار الأولى عند أهل الثانية، و يُوهم أن الأرض تُطوى له، و يحبِسُ المطر بضربٍ من السحر. ويُنسب له قرآنٌ في مائة وأربعة عشرة عبرة " [3]

ويذكر بعضهم مما ادّعاه المتنبي وحياً: "والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفي خسار، امْضِ على سنّتك واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامِعٌ بك زَيْغَ من ألحد في دينه، وضل عن سبيله"[4]

---

[1] نفس المصدر، ص80.

[2] البستاني بطرس: ادباء العرب في الاعصر العباسية، د ط، دار مارون عبود، بيروت، 1979،ص310.

[3] حلمي بك محمد كمال: ابو الطيب المتنبي حياته وخلقه وشعره واسلوبه، د. ط، ادارة مكتبة ومطبعة الشباب، القاهرة، مصر، 1921.

[4] أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الانباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء مكتبة المنار، الأردن، بيروت

بلغ أمر نبوّته إلى لؤلؤ أمير حمص من قِبل الدولة الإخشيدية، فتشتَّتَ عنه من بايعوه؛ وخرج إليه وأسره سنة 324 هـ. قضى المتنبي بالسجن سنتين، كانت الإمارة قد انتقلت حينها إلى إسحاق بن كَيْغَلَغْ التركي. وما انفكّ المتنبي يستعطفه، حتى عفا عنه وأطلق سراحه، بعد أن استتابه بكتاب ينكر فيه دعواه، وكان سِنُّهُ عشرين سنة ونيّف. و من سجنه نورد:

دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِي البَلَاءُ وأَوْهَنَ رِجْلَيَّ ثَقَلُ الحَدِيدِ[1]

"ولمّا تفلّتَ المتنبي من الأسر، راح يضرب في البلاد الشامية، واجتاز الجزيرة مارًّا برأس عين، وانتهى إلى منبج حيث مدح جماعة من رؤساء العرب في روحٍ عربية ودعوة إلى القومية العربية:

وإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُــوكِ، وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُـوكُهَا عَجـَمُ"[2]

إذ بلغ عدد الذين مدحهم اثنين وثلاثين رجلاً، قال فيهم أربعا وأربعين قصيدة؛ وهكذا كان يسعى لآماله سعي المُشيح المُجِد، بعد أن خابت آماله بالثورة وفارقته نزوات الصبا، وأوغل في سِنِيِّ الرجولة الحكيمة. إذ بدأ يخطط لتحقيق آماله في تروٍّ وتُؤَدة، ويبسط لنفسه سبل الأمل الباسم الخلّاب.

واصل المتنبي أسفاره، وحِلَّهُ وترحاله بين بلدة وأخرى، وكره الناسَ ولُؤمَهم، وفقد الثقة بجميع من صادفهم؛ إذ يقول:

غَرِيبٌ مِنَ الخِلَّانِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ إِذَا عَظُمَ المَطْلُوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ[3]

ساقت الأقدار المتنبي إلى حضرة بدر بن عمار سنة 328هـ بطبرية، فمدحه بعدة قصائد، وكان بدر بن عمار شجاعاً كريما؛ وهو أول من قتل أسداً بالسوط، فنَعِم عنده حقبة من

[1] ديوان المتنبي، ص23.

[2] الفاخوري حنّا: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار الجيل، بيروت 1986، ص790.

[3] ديوان المتنبي، ص242.

الزمن، راضياً بما لقيه عنده من الراحة بعد التعب والاستقرار بعد التشرد، إلا أنه أحس بالملل في مقامه وشعر بأنه لم يلتق بالفارس الذي كان يبحث عنه والذي يشاركه في ملاحمه وتحقيق آماله. فعاوده الضجر الذي ألفه والقلق الذي لم يفارقه. فهذا الأمير يحاول أن يتخذ منه شاعراً متكسباً كسائر الشعراء، وهو لا يريد لنفسه أن يكون شاعر أمير، وإنما يريد أن يكون شاعراً فارساً لا يقل عن الأمير منزلة. ثم ما كان يدور بين حاشية بدر من الكيد لأبي الطيب ومحاولة الإبعاد بينهما، جعل أبا الطيب يتعرض لمحن جمّة. لقد رأى ذلك إهانة وإذلالاً، عبّر عنه بنفس جريحة ثائرة بعد فراقه لبدر متصلاً بصديق له هو أبو الحسن علي بن أحمد الخراساني (333هـ) في قوله:

لاَ افْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لاَ يُضَـــامُ مُدْرِكٌ أَوْ مُحَــارِبٌ لاَ يَنَـــامُ[1]

وفي سنة 334هـ دخل مجلس أبي علي الحصيبي بأنطاكية، وفي الأثناء أرسلت إليه جدته كتابا تعاتبه على عدم زيارتها، فدخل بغداد وكتب إليها أن تذهب إليه لتعذر بلوغه الكوفة؛ ويُقال إنها ماتت فرحةً بكتابه؛ وفي الحادثة يقول:

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي، فَمِتُّ بِهَا غَمًّا[2]

وما إن طار صيته حتى رغب في مدائحه الأمراء والحكام، وتنافسوا في دعوته إليهم، فتقلب ما بين الرملة وأنطاكية، وفيما كان يوما بطرابلس أراده إسحاق بن كيغلغ على مدحه فأبى لأن الأخير لم يستجب لطلب إطلاقه يوم كان بالسجن حتّى أصابه التلف، وفَرَّ إلى أنطاكية بعد أن أقذعه بالهجاء.

ثم حلَّ بمجلس أبي الفضل أحمد الإنطاكي لسنة 335هـ بأنطاكية، فمجلس أبي محمد الحسن بن طغج والي الرملة سنة 336هـ. ومن ثَمَّ قفل إلى أنطاكية عند أبي العشائر الحمداني سنة 336هـ.

[1] المصدر نفسه، ص201.

[2] المصدر نفسه، ص134.

ج1. في رحاب أمير حلب:

فبلاط سيف الدولة بحلب سنة 337هـ، و سبب اتصاله به أن هذا الأخير قدِم إلى أنطاكية، "فاستقبله أبو العشائر، فقدّم إليه المتنبي و أثنى عليه؛ فاصطحبه إلى حلب و اشترط عليه أبو الطيب ألّا ينشده إلا واقفا و ألّا يُقبّل الأرض بين يديه، فقبِل، و سلّمه للرُوّاض يعلّمونه الفروسية، و الطِراد، و المثاقفة؛ فكان الشاعر يصحب ممدوحه في الغزوات و يشهد معه المعارك و يصفها بشعره." [1]في مجلس هذا الأمير وجد أفقه وسمع صوته، وأحس أبو الطيب بأنه عثر على نموذج الفروسية الذي كان يبحث عنه، وسيكون مساعده على تحقيق ما كان يطمح إليه، فاندفع الشاعر مع سيف الدولة يشاركه في انتصاراته. ففي هذه الانتصارات أروع ملاحمه الشعرية، إذ استطاع أن يرسم هذه الحقبة من الزمن وما كان يدور فيها من حرب أو سلم. شعر سيف الدولة بهذا الاندفاع المخلص من الشاعر، واحتمل منه ما لا يحتمل من غيره من الشعراء، وكان هذا كبيراً على حاشية الأمير. ازداد أبو الطيب اندفاعاً وكبرياء واستطاع في حضرة سيف الدولة أن يلتقط أنفاسه، وظن أنه وصل إلى شاطئه الأخضر، وعاش مكرماً مميزاً عن غيره من الشعراء. وهو لا يرى إلا أنه نال بعض حقه، ومن حوله يظن أنه حصل على أكثر من حقه. وظل يحس بالظمأ إلى الحياة، إلى المجد الذي لا يستطيع هو نفسه أن يتصور حدوده، إلى أنه مطمئن إلى إمارة عربية يعيش في ظلها وإلى أمير عربي يشاركه طموحه وإحساسه. وسيف الدولة يحس بطموحه العظيم، وقد ألف هذا الطموح وهذا الكبرياء منذ أن طلب منه أن يلقي شعره قاعداً وكان الشعراء يلقون أشعارهم واقفين بين يدي الأمير، واحتمل أيضاً منه هذا التمجيد لنفسه ووضعها أحياناً بصف الممدوح إن لم يرفعها عليه. ولربما احتمل على مضض تصرفاته العفوية.

[1] البستاني بطرس: ادباء العرب في الاعصر العباسية، د. ط، دار مارون عبود، بيروت، 1979،ص315.

"وليس من الإسراف في شيء أن يقال إن للمتنبي في سيف الدولة ديوانا خاصا يمكن أن يستقل بنفسه. وهو إن جُمع في سِفر مستقل لم يكن من أجمل شعر المتنبي وأروعه وأحقه بالبقاء، بل من أجمل الشعر العربي كله وأروعه وأحقه بالبقاء"[1]. وسنة 337 هـ هي السنة التي استولى فيها الروم على حصن الحدث، وفيها هُزم المسلمون. وفي سنة339، انتصر سيف الدولة على الروم انتصارا مؤزرا، وشهد المتنبي الموقعة؛ ولكن بعد أن توغل الجيش في بلاد الروم وأثقلته الغنائم، سد عليهم العدو المسالك والتصق بهم وأخذ عليهم الطرق فاستحال النصر هزيمة، ودافع سيف الدولة عن جيشه باستماتة فريدة، ونجا هو وبعض أصحابه:

لِهَذَا اليَـوْمِ بَعْدَ غَدٍ أَرِيـــجُ وَنَـارٌ فِي العَدُوِّ لَـــهَا أَجِيجُ[2]

وفي السنة الموالية، أراد سيف الدولة أن يمحي عن المسلمين عار الهزيمة، فتهيّأ للزحف من نفس المكان، ولما علم الجيش بكثرة عديد العدو هابوه، فأنشدهم المتنبي القصيدة التي مطلعها:

نَزُورُ دِيَّارًا مَا نُحِبُّ لَهَا مَغْنَى ونَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سُكَّانِهَا الإِذْنَا[3]

فأثار فيهم الحماسة، فاكتسح سيف الدولة جيش الروم كالسيل، وتقدم قاصدا الوصول إلى خَرشَنة، لكن ثلوج الشتاء باغتته، فعاد أدراجه مظفرا، ولم يتمكن الروم من مضايقته؛ وفي ذلك قال المتنبي:

عَوَاذِلُ ذَاتِ الخَالِ فِيَّ حَوَاسِد وإِنَّ ضَجِيعَ الخَوْدِ مِنِّي لَمَاجِدُ[4]

[1] حسين طه: مع المتنبي، د ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص169.

[2] ديوان المتنبي، ص232.

[3] المرجع السابق، ص241.

[4] المرجع السابق، ص242.

وفي سنة 341، أزال سيف الدولة الروم عن مَرعش، وأقام بها حصنه، وعاد منتصرا؛ ومعه الكثير من أسرى الروم ومما قاله المتنبي آنذاك:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وإِنْ زِدْتَنَا كَرَبَا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالغَرْبَا[1]

وكانت سنة 342 شاهدة على عبور سيف الدولة الفرات، فاجتاز حدود الروم إلى أن بلغ آمِدَ، ولما علِم بإغارة الروم على أنطاكية غذَّ في المسير إليهم، وظفر بهم وأسر قائدهم؛ حينها قال شاعرنا:

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُــــولُ طِــوَالٌ ولَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ[2]

أراد سيف الدولة استرداد حصن الحدث سنة 343، وسبق جيوش الروم إليه وانهزموا عنه وكانوا كثرة ومن أمم مختلفة؛ فكانت موقعة عظيمة، وفيها قال المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ[3]

و في شهر محرم من سنة344هـ، أراد سيف الدولة أن يقمع ثورة القيسيين، فقبل مهادنة الروم بعد أن أوفدوا إليه سفراءهم؛ قال في ذلك المتنبي:

أَرَاعَ كَذَا كُــلَّ الأَنَــامِ هُمَــامُ وَ سَحَّ لَهُ رُسْلَ المُلُــوكِ غَمَــامُ[4]

و ما لبث الروم أن نقضوا العهد، و أرادوا استرداد الحدث؛ فنهض سيف الدولة لهم فلما علموا بذلك عادوا أدراجهم، قال المتنبي:

ذِي المَعَالِي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَ إِلاَّ فَلَا لاَ [5]

---

[1] المرجع السابق، ص238.

[2] المرجع السابق، ص269.

[3] المرجع السابق، ص290.

[4] المرجع السابق، ص293.

[5] المرجع السابق، ص308.

و في محرم لسنة 345هـ، أراد الروم استرجاع آمد، فظفر بهم سيف الدولة قبل ارتدادهم عنها، فغَنِم منهم و أمعن في التوغل إلى تلّ البطريق فدمّر قلاعهم و حصونهم، ورجع غانماً؛ فقال المتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهْيَ المَحَلُّ الثَّانِي[1]

ومع مرور السنين، اكتسب المتنبي منزلة عظيمة لدى الأمير، ممّا جعل الحساد يتصيّدون الفرص ليوغروا صدر سيف الدولة عليه حتى أصابوا بعض النجاح. وأحس الشاعر بأن صديقه بدأ يتغير عليه، وبدأت المسافة تتسع بين الشاعر وصديقه الأمير:

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِـــمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَـــــهُمْ لِي حُسَّدَا[2]

وأحس أبو الطيب بأن السقف الذي أظله أخذ يتصدع، وظهرت منه مواقف حادة مع حاشية الأمير، وأخذت الشكوى تصل إلى سيف الدولة منه حتى بدأ يشعر بأن فردوسه الذي لاح له بريقه عند سيف الدولة لم يحقق السعادة التي نشدها. وأصابته خيبة الأمل لاعتداء ابن خالويه عليه بحضور الأمير ولم يثأر له، وأحس بجرح لكرامته، فعزم على مغادرته، ولم يستطع أن يجرح كبرياءه بتراجعه، وإنما أراد أن يمضي بعزمه. فكانت مواقف العتاب الصريح والفراق.

أَلاَ مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَـــةِ اليَوْمَ عَاتِبَا فَدَاهُ الوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِباَ
ومَالِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَـهُ نَتَائِفَ لَا أَشْتَاقُـــــهَا وسَبَاسِـبَا
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ أُحَـــــادِثُ فِيهِ بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبَـا[3]

"عرف سيف الدولة كما عرف الذين من قبله بأن شعر المتنبي ليس كالذي تلوكه الألسـن؛ فهذا لا يخرج إلا من قلب صادق، وكان حبه لسيف الدولة صادقا حتى بعد فراقه."[1]

[1] المرجع السابق، ص313.
[2] المرجع السابق، ص279.
[3] المرجع السابق، ص255.

فارق أبو الطيب سيف الدولة وهو غير كاره له، وإنما كره الجو الذي ملأه حساده ومنافسوه من حاشية الأمير. فغادر حلب، وهو يكنّ لأميرها الحب، لذا كان قد عاتبه وبقي يذكره بالعتاب، ولم يقف منه موقف الساخط المعادي، وبقيت الصلة بينهما بالرسائل التي تبادلاها حين عاد أبو الطيب إلى الكوفة من مصر حتى كادت الصلة تعود بينهما.

قال ابن جني:" قرأت ديوانه عليه، فلما بلغت إلى قوله في كافور؛

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً ولَا أَشْتَكِي فِيـهَا ولَا أَتَعَتَّـبُ

وَبِي مَا يَذُودُ الشِّعْرُ عَنِّي أَقَلُّـهُ ولَكِنَّ قَلْبِي يَا اِبْنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ

فقلت له: يَعِزُّ عليّ كيف هذا الشعر في غير سيف الدولة، فقال: حذّرناه وأنذرناه فما نفع، ألستُ القائل فيه:

أَخَا الجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ولَا تُعْطِينّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

فهو الذي أعطاني كافورا بسوء تدبيره وقلة تمييزه. [2]

ولقد أقام المتنبي عند وليّ نعمته الحمداني تسع سنوات، نظم في أثنائه ثمانياً وثلاثين قصيدة، وإحدى وثلاثين مقطوعة؛ وكان آخر ما قاله المتنبي بين يدي الأمير قصيدته التي أولها:

عُقْبَى اليَمِينِ عَلَى عُقْبَى الوَغَى نَدَمُ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ القَسَمُ[3]

ج2. في مجلس كافور

نزل المتنبي عند ابن طغج بدمشق، ولم يقل فيه مدحًا إلا قطعتين. في نفس السنة، أي 346هـ، حلَّ بمجلس كافور بمصر، وكان الأخير من أقدر رجال عصره سياسة ودهاء،

[1] الشايجي خالد: المتنبي الشاعر الثائر، مجلة العربي، الكويت، 2006، ص 105.

[2] الذهبي شمس الدين بن أبي عبد الله: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص80 .

[3] المصدر نفسه، ص316.

وكان إلى ذلك محبا للعلم والعلماء، ومبسوط اليد في الهبات، فلقي المتنبي لديه من الحفاوة والإكرام، وأخلى له دارا وكفله وخلع عليه.

كان المتنبي يطمح أن ينال من أبي المسك ضيعة أو ولاية، إلا أن هذا الأخير لم يُنِله ما أراد؛ يقول شاعرنا:

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ المَعَالِيَ بِالنّــدَى فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ المَعَالِيَا

وغَيْرَ بَعِيدٍ أَنْ يَزُورُكَ رَاجِـــلٌ فَيُصْبِحَ مَلْكًا لِلْعِرَاقَينِ وَالِــيَا [1]

ويقول:

وفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وخِطَابُ [2]

وعوتب كافور في ذلك فقال:" يا قوم من ادّعى النبوّة بعد محمد، صلى الله عليه وسلّم، أما يدّعي المملكة مع كافور. فحسبُكم"[3]. وطال انتظار المتنبي، حتّى يئس فصار يُماطل في مدح كافور ويُعرّض ببخله ويبثّ في أشعاره حنينه للأمير السابق.

كان الشاعر المجروح يسعى للخروج من مصر، إلا أن كافورا كان يمنعه وينشر حوله العيون ترقبه. يقول أبو العلاء:" وقد أعدّ كل ما يحتاج إليه على مرّ الأيام في لطف ورفق، ولا يعلم به أحد من غلمانه، وهو يظهر الرغبة في المقام"[4]. وفي ليلة عيد الأضحى لسنة 350هـ، بينما الجميع منشغلون بالتحضير للعيد، خرج المتنبي ليلا مغادرا مصر؛ بعد أن كتب قصيدته المعروفة وأوصى من يبلغها لكافور:

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَاعِيــدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ

أَمَّا الأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهــمُ فَلَيْــتَ دُونَكَ بِيْدٌ دُونَهَا بِيـدُ

لاَ تَشْتَرِ العَبْدَ إِلاَّ وَالعَصَا مَعَهُ إِنَّ العَبِيْدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِــيدُ [5]

---

[1] المرجع السابق، ص433.

[2] نفس المصدر، ص228.

[3] البرقوقي عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، ج1،ط2، دار هنداوي، القاهرة، 1986، ص16.

[4] الفاخوري حنّا: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار الجيل، بيروت، 1986،ص792.

[5] ديوان المتنبي، ص380.

استشاط كافور غضباً لمّا سمع برحيل المتنبي، وأرسل في إثره من يقتله لولا أن الشاعر سلك من السبل ما لم يَرْقَ إلى خواطر متعقّبيه فنجا. وبلغ الكوفة في ربيع الثاني من سنة 351هـ:

أَلاَ كُلُّ مَاشِـــيَةِ الخَـــيْزَلَى فِدَا كُلِّ مَاشِـيَةِ الهيْذَبَـــى[1]

ج3. بغداد:

في العراق أبى المتنبي مدح وزير بني بُويه "المُهلَّبي"، فأغرى به من شعراء بغداد من يهجوه فلم يحفل بهم المتنبي:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ؟[2]

وفي الأثناء التفّ حول المتنبي جماعة من علماء اللغة والنحو، فشرح لهم ديوانه واستنسخهم إياه. وسمع سيف الدولة بخروج الشاعر من مصر فدعاه للرجوع، وأرسل إليه بالهدايا مع ابنه من حلب سنة 351 هـ. وما لبثت أخت الأمير أن ماتت فكتب إليه المتنبي قصيدته معزّيا:

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ، يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ [3]

وكان لهذه القصيدة بالغ الأثر في نفس الأمير، فعاود طلبه ملحًّا عليه بالمسير إليه وأرسل إليه كتابا وأماناً بخط يده؛ إلّا أن الشاعر اعتذر بالقصيدة موضوع دراستنا والتي مطلعها:

فَهِمتُ الكِتَابَ أَبَـرَّ الكُتُـــبْ فَسَـــمْعًا لِأَمْـرِ أَمِيرِ العَرَبْ[4]

ج4. فارس ثم القفول إلى بغداد:

وبأُرّجان الفارسية مدح ابن العميد، ثم سار إلى شيراز فامتدح عضد الدولة بن بُوَيْه " فأطلق له أموالا جزيلة، ثم دسَّ إليه من يسأله أيّما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أم عطايا

[1] المرجع السابق ، ص382.
[2] المرجع السابق، ص238.
[3] المرجع السابق، ص 326.
[4] المرجع السابق، ص230.

سيف الدولة بن حمدان؟ فقال: هذه أجزل وفيها تكلّف، وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من مُعطيها"[1]، ثم قفل قاصدا بغداد، ومودّعا الملك البويهي بقصيدة هي آخر ما نظم:

فِدًى لَكَ مَنْ يُقَصّرُ عَنْ مَدَا كَافَلَا مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَا[2]

د. <u>مقتل المتنبي:</u>

أقام المتنبي في بلاد عضد الدولة البويهي بشيراز ما يقرب من ثلاثة أشهر، وقد أعد القصيدة التي يشكره فيها ويعتذر إليه كونه في شوق إلى أهله، وكانت من آخر ما قاله، وفيها يقول:

وَأَنَّى شِئْتِ يَا طُرُقِـي فَكُونِي أَذَاةً، أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَا[3]

قالها في أول من شعبان لسنة 354 هـ، وخرج مثقلا بالهدايا والأموال والكتب حتى بلغ الأهواز ثم واسط، ونزل بجُبَل عند أبي نصر الجبلي. وبعد مغادرته وعند منتصف الطريق بين واسط وبغداد عرض له فاتك ابن أبي جهل مع ثلاثين من فرسانه، وكان المتنبي قد هجا ابن أخته ضبة بقصيدة فاحشة، فأراد الثأر منه. قاتل المتنبي ومن معه، لكن كثرة المهاجمين أطاحت به وبابنه مُحَسَّداً وجميع مرافقيه. كان ذلك في شهر رمضان لسنة 354 هـ.

" وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلام تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ولم يقبل ما أشير عليه باستصحاب الخفراء والمبذرقين "[4]

وبذلك طوى الزمان صفحة شاعرٍ حفظ للعربية ثلثها، وأفل نجم من سارت أشعاره على الأفواه وحكت الأنجم أقواله الغراء. ومما قيل فيه أبيات لأبي القاسم المظفر بن علي الطبي:

كَانَ فِي نَفْسِهِ الكَبِيرَةُ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ

---

[1] أبو الفداء الحافظ بن الأثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ج 11، د ط، بيروت، 1991، ص256.

[2] ديوان المتنبي، ص 424.

[3] المرجع السابق ، ص 424.

[4] أبو منصور عبد الملك الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح د. مفيد محمد قميحة، ج1، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ،1983، ص276.

كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي المَــعَانِي[1]

ويقول ابن جني:

غَاضَ القَرِيضُ وَأَوْدَتْ نَضْرَةُ الأَدَبِ وَصَوَّحَتْ بَعْدَ رَيِّ دَوحَةِ الكُتُبِ[2]

" وقد أُلفت الكتب في تفسيره، وحلّ مشكله وعويصه، وكثُرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعُونه. وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه، والتعصب له وعليه. وذلك أول دليل دلّ على وفور فضله، وتقدم قدمه، وتفرده عن أهل زمانه، بملك رقاب القوافي، ورق المعاني، فالكامل من عُدّت سقطاته، والسعيد من حُسِبت هفواته، ومازالت الأملاك تهجي وتمدح".[3]

المبحث الثاني: الشعر مفهوما، وشعرية المتنبي.

1. مفهوم الشعر والشعرية:

من نافلة القول بأن الشعر فن العربية الأول، وهو ديوان العرب كما قيل، لسهولة حفظه وروايته، وتداوله. وبه يُتعرف على أحوال العرب، وبيئتهم، وتاريخهم.

نظرا لِمَا للشعر من أهمية ودور بارز في الحضور الإنساني، بمختلف بيئاته، وأزمنته، وفكره، وتوجهاته، فقد أُولي عناية خاصة واهتماما كبيرا من لدن كثير من الحضارات، ومن أهمها الحضارة الإسلامية ولسانها العربي خاصة. ومما يدلل على هذا الاهتمام، عنايتهم بمختلف توجهاتهم ومشاربهم وثقافاتهم –قديما وحديثا –في تعريف الشعر، فهنالك من نظر إليه من حيث ألفاظه ونظمه، والبعض من حيث جرسه وقافيته، وآخر أهتم بمعانيه وتراكيبه،

[1] البرقوقي عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي ج1، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، ص 17/16.

[2] اليازجي ناصيف: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، د ط، دار الأرقم، بيروت، د ت، ص 20.

[3] أبو منصور عبد الملك الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح د. مفيد محمد قميحة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1983، ص140.

وركَّز البعض على تأثيره وسحره، وآخرون اهتموا ببيانه وقيمته، ومنهم من ربطه بالعاطفة والأحاسيس وخلجات النفس... الخ.

أ. لغة:

وتعددت وجوه استعمال لفظة " الشعر" الذي جمعه " أشعار" في اللغة، فمن ذلك أنه العلم، والفطنة، والإدراك، والاطلاع، والإعلام، والدراية ... وقائلُه شاعِرٌ لأَنه يَشْعُرُ ما لا يَشْعُرُ غيره أَي يعلم"[1] ، وسمِّي الشَّاعر شاعراً" لأنه يفطِن لما لا يفطن لـه غيرُهُ. قالوا: والدليل على ذلك قولُ عنترة:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

يقول: إنَّ الشّعراء لم يغادِرُوا شيئاً إلاّ فطِنُوا لـه.

ب.اصطلاحا:

و أكثر تعريفات الشعر تبين أنه كلام موزون مُقفّى بقول ابن طباطبا:" الشعر – أسعدك الله – كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم ، بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته محبته الأسماع ، وفسد على الذوق ، ونظمه معلوم محدود ، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه "[2]

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج1، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت، مادة شعر، ص 2176.

[2] العلوي محمد بن أحمد بن طباطبا: عيار الشعر، مج2، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت،2005، ص9.

ويقول ابن خلدون في مقدمته " إذ هو كلام مفصل قطعا قطعا، متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة. وتسمى كل قطعة من هذه القطعات بيتا، ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه رويا وقافية، ويسمى جملة الكلام على آخره قصيدة وكلمة."[1]

وعرَّفه الشريف الجرجاني بقوله: " كلام مقفًى موزون على سبيل القصد" [2]

، وربط الجاحظ الشعر بفن التصوير في قوله" فإنما الشعر صناعةٌ، وضَرْب من النَّسج، وجنسٌ من التَّصوير"[3]

ولعله متأثر في ذلك بالفكر والأدب اليوناني الذي يعتبر الشعر كالرسم كما قال هوراس. واعتبره البارودي " لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب، فيفيض بلألائها نورا يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينبعث بألوان من الحكمة ينبلج بها الحالك، ويهتدي بدليلها السالك ..." [4]

ويُعَرِّفُ الشعراءُ الشعرَ بمعان عدة، إذ يقول شوقي:

"وَالشِّعْرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ ذِكْرَى وَعَاطِفَةً أَوْ حِكْمَةً فَهُوَّ تَقْطِيعٌ وَأَوْزَانُ[5]

فالشعر عند شوقي يقوم على ثلاث ركائز(الذكرى) و(العاطفة) و(الحكمة).

وقال أمين نخلة:

أَنَا لَوْ سُئِلْتُ لَقُلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ طَرَبٌ يَهُزُّكَ كَالْغِنَاءِ الصَّاخِبِ[6]

[1] ابن خلدون: المقدمة، مج1،ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ص98.97.

[2] الجرجاني الشريف: التعريفات، ج1، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 167.

[3] الجاحظ: الحيوان، ج3، د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص132.

[4] البارودي محمود سامي: الديوان، ط3، دار الأرقم، بيروت، د.ت، (مقدمة الديوان).

[5] شوقي أحمد: الشوقيات، ج2، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص 102.

[6] نخلة أمين رشيد: الديوان الجديد، ط3، دار الأرقم، بيروت،2003، ص321.

" وإنما سُمّي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لم يشعر به غيره"؛ على حد قول ابن رشيق القيرواني، " فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى واختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني .... كان اسم الشاعر عليه مجازا، ولم يكن له إلا فضل الوزن ". [1]

والشاعر يتعرض لمواقف شتّى، يتأثر بها ويتفاعل معها، فتتكون لديه مشاعر، يترجمها من ثمّ في صور تعبيرية، تنم عن ذاتيته وإنسانيته، فالفكرة تمتزج بالوجدان وتتبع لتخرج من النظم المجرد إلى التعبير الجمالي.

وتتجلى الشعرية حسب جاكبسون: " في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بديل عن الشيء المسمى، ولا كانبثاق للانفعال .....بل لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة

وفي اللحظة التي يصبح فيها الشاعر هو الشعر، يتسنّم الشعور ذروة تألقه، فتستيقظ فيه معاني الانفلات من الواقع والتمرد عليه، والمتنبي في هذا الإطار يبدو مثالا شعريا لاسترداد الروح العربية في جو كانت تسوده الفرقة والتشرذم، ونمطا فريدا في الطموح إلى مثالية الفارس الذي يقهر الظلم ويملأ الكون عدلا ورخاء، بعدما مُلِئ ظلما وجورا.

2. شعرية المتنبي:

يمثل شعر المتنبي صورة واقعية عن عصره والشعر صورة لحياته المضطربة، تتجلى فيه طموحاته وشجاعته، وامتهانه لأهل زمانه. وقد تميز شعره فيما عدا ذلك بقوة المعاني، وبعد الأخيلة، ورصانة الأسلوب، وغنى الألفاظ، وتدفق العاطفة. والمتنبي شاعر مدرك لفلسفة الحياة، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من وجود حكمة أو أكثر. على أنه يتغنى كذلك بالمجد، والشرف، والبطولة كونها قيم تميل إليها النفس الإنسانية بالفطرة.

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ط7، مطبعة المدني، الرياض، 1998، ص123.

وجاء في يتيمة الدهر:" وقد أُلفت الكتب في تفسيره، وحلّ مشكله وعويصة، وكثُرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعُونه. وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه، والتعصب له وعليه. وذلك أول دليل دلّ على وفور فضله، وتقدم قدمه، وتفرده عن أهل زمانه، بملك رقاب القوافي، ورق المعاني، فالكامل من عُدّت سقطاته، والسعيد من حُسِبت هفواته، ومازالت الأملاك تهجي وتمدح".[1]

ففي مدحه هو غزير المعاني، ويسمو بممدوحه إلى درجات الكمال، وربما ارتقى به إلى مصاف الأنبياء والآلهة. كما سجل في وصفه معارك دارت في عصره ،فخلدها و خلد أبطالها ،فكانت كلماته أمضى من السيوف و حروفه أوقع إيلاما من الصوارم؛ "واختص، أي المتنبي، بالإبداع في وصف مواقف القتال، وأنا أقول قولًا لست فيه متأثمًا، ولا منه متثلمًا: وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه...لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق، فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر".[2]

إلى جانب وصفه أخلاق الناس ونوازعهم وكذا وصفه للطبيعة؛ وهو يصف شيراز بفارس يقول:

لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْـهُ بِأَشْـــرِبَةٍ وقَفْـنَ بِلاَ أَوَانِـــي

وأَمْوَاهٌ تَصِلُّ بِهَا حَصَـاهَا صَلِيلَ الحُلْيِ فِي أَيْدِي الغَوَانِي[3]

[1] أبو منصور عبد الملك الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح د. مفيد محمد قميحة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص140،

[2] البرقوقي عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، ج1،ط2، دار هنداوي، القاهرة، 1986، ص12،13.

[3] ديوان المتنبي، ص 405.

وهو حين يفخر، تجده مزهوا، متعاظما، كأنما لا يرى أحدا مثله، ولا حتى ممدوحه، وإذا هجا أقذع في الهجاء، وأوقع مهجوّه من عليائه إلى الحضيض، ولا يرعى في ذلك عشرة ولا صداقة، فهو يعتبر المساس بكرامته ذنب لا يغتفر.

ناهيك عن الاستهانة بطموحه أو النيل من شرفه والحط من قدره. وهذا ما حدث مع إسحاق بن كيغلغ، وكذلك مع كافور الإخشيدي، فكلاهما أهانه: الأول أمعن في سجنه والثاني أوعده وأخلف.

يقول في الأول:

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُــوزٌ تَلْطِــمُ

يَقْلَى مُفَارَقَةَ الأَكُفِّ قَذَالَـهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّـــمُ

أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الكِرَامُ كَرِيمَةً وفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الأَعَاجِمُ أَعْجَــمُ[1]

وفي الثاني:

العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٌ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيابِ الحُـرِّ مَوْلُـودُ

أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لُؤْمٍ وبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ[2]

أما ساعة الرثاء، فهو ميال إلى النظرة الفلسفية مع عدم إخفاء عاطفة الحزن والألم. فهو يقول في جدته، وقد ماتت حين استلمت كتابه:

أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضمَّا[3]

وفي رثاء خولة أخت سيف الدولة:

[1] المصدر نفسه، ص 443.

[2] المصدر نفسه، ص380.

[3] المصدر نفسه، ص 89.

طَوَى الجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَـالِي إِلىَ الكَـذِبِ

حَتَّى إِذَا لَمْيَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلاً شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشرَقُ بِي

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنثَى لَقَدْ خُلِقَتْ كَرِيمَةً غَيْرَ أُنْثَى العَقْلِ وَالحَسَـبِ

وَلاَ ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِـهَا إِلَّا بَكَـيْتُ وَلاَ وُدٌّ بِـلاَ سَبَـبِ[1]

وأكثر ما اشتهر في شعره، ما اتصل بنوازع النفس الإنسانية، فجاء شعره بالحكمة والمثل السائر وما ينطق عن خواطر الناس في كل زمان ومكان ومنه:

نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَـفَرَّقُوا[2]

فَطُعْمُ المَوْتِ فِي أَمْـرٍ حَـقِيرٍ كَطُعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

يَرَى الجُبَنَاءُ أَنَّ العَـجْزَ عَقْـلٌ وتِلْكَ خَدِيعَـةُ الطَّبْعِ اللَّئِيـمِ[3]

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِـيلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ[4]

وكان يرى أن الزمان وأهلَه من أعدائه

عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّـى لَخِلْـتُ الأُكْمَمُ وغَرَةُ الصُّدُورِ[5]

كان المتنبي يبدع دائما في مدح الأمير صاحب حلب، لوفائه له وحبه الذي ملأ نفسه لما كان يرى فيه من سمات الأنفة والعزة والانتصار للعروبة والذود عنها. فسجل في قصائده

[1] المصدر نفسه، ص 134.

[2] المصدر نفسه، ص18.

[3] المصدر نفسه، ص17.

[4] المصدر السابق المصدر نفسه، ص125.

[5] المصدر نفسه، ص 129.

كل حوادثه وحروبه وحله وترحاله؛ فيصف ظفره المدوي واندحار الروم تحت ضربات سيفه، إذ يقول:

نَثَــرْتَهُمْ فَـوْقَ الأُحَـيْدِبِ نَثْـــرَةً كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ[1]

وحينما كان لدى كافور، قال الكثير من الشعر الذي لا يتفق مع هواه، فهو يمقت الأعاجم ولا يرتضى أن يكونوا حكاما للعرب فأخذ يزوّر ويتسخّر بما لا يؤمن به فأذل كبرياءه وتبذل على أمل نيل ضيعة أو تولي إمارة. ففي تلك الأثناء كان المتنبي متعجلا تحقيق الطموح الذي لطالما تمناه. ومن إلحاحه على كافور في الطلب قال:

أَبَا المِسْكِ هَلْ فِي الكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنِي أُغَنِّي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْــرَبُ[2]

ولما وصفه بالشمس المنيرة السوداء حلف كافور أن يبلغه كل ما في نفسه

وَمَا رَغْبَـتِي فِي عَسْــجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّــهَا فِي مَفْــخَرٍ أَسْتَــجِدُّهُ[3]

والمتنبي كان يرى في نفسه أميرا، لان الشاعر عنده لا يربو أن يكون متسولا، يتكسب بشعره في بلاطات الملوك، فعصره كان عصر لشعراء التكسب حتى أن أبا فراس الأمير كان يأبى على نفسه أن يُلقب بالشاعر رغم نبوغه.

قال ابن الأثير:" وهؤلاء الثلاثة – أبو تمام، والبحتري، والمتنبي هم لات الشعر، وعُزّاه، ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء"[4]. .

[1] المصدر نفسه، ص290.

[2] المصدر نفسه، ص352.

[3] المصدر نفسه، ص342.

[4] أبو الفداء الحافظ بن الأثير: البداية والنهاية، ج 11، د ط، مكتبة المعارف، بيروت، 1991، ص234.

أ. ما قيل عن المتنبي:

"لقد كان من الجد فيما يعانيه لزوم أهل العلم فيما يقوله ويحكيه، على أسدّ وتيرة وأحسن سيرة ...وحقا أقول لقد شاهدته على خلق قلما تكامل إلا لعالم موفّق "[1]

وكان يحرم على نفسه شرب الخمر، كي لا يذهب عقله:

وأَنْفُسٌ مَـــا لِلْـفَتَى لُبـُّهُ وَذُو اللُّـبِّ يَكْـرَهُ إِنْفَـاقَهُ[2]

ولكنه يعود فيقول:

وإِذَا طَلَبْتَ رِضَا الأَمِيرِ بِشُرْبِهَـا وأَخَذْتَهَا فَلَقَدْ تَرَكْتَ الأَحْرُمَا[3]

كان المتنبي مترفعا عن أخلاق عصره، من فساد ومجون ولهو، ولعل ذلك يرجع إلى ما تأصل فيه من صفات سكان البوادي الذين خالطهم كثيرا وتطبع بطبعهم. على أن من أوتي ما أوتي من علم باللغة، وأيام الناس، والفلسفة والديانات لحريّ بأن يكون خلوقا ومتأدبا.

يروي رجل من أهل الشام يُعرف بأبي سعيد *(وهو راوية المتنبي)*: "أن المتنبي عاد من دار سيف الدولة آخر النهار، وبعد أن فرغ من تناول الطعام، قدّم له شمعة، ومرفع دفاتره، وبات يدرس حتى مضى من الليل أكثره، وكانت تلك عادته كل ليلة... وكان من المكثرين في نقل اللغة، والمطلعين على غريبها، ولا يُسأل عن شيء إلا استشهد بكلام من الشعر والنثر" [4]

---

[1] أبو العباس بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح احسان عباس، مج1، د ط، دار صادر، بيروت، 1987، ص143.

[2] ديوان المتنبي، ص122.

[3] المصدر نفسه، ص 167.

[4] البغدادي الخطيب: تاريخ بغداد، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص 102.

وأورد مُصنف الواضح أن المتنبي كان " يحفظ ديواني الطائييْن ويستصحبهما في أسفاره ويجحدهما "[1]

وكان إذا سُئِل عن المعاني التي يأخذها من أبي تمام أو البحتري، يقول بأن الشعر جَادَةٌ وربّما وقع الحافر على الحافر ويصفه ابن فورجه بأنه:" كان قويا على السير، سيرا لا غاية بعده، وكان عارفا بالفلوات، ومواقع المياه، ومحالّ العرب بها"[2].

[1] الأصفهاني: الواضح، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 125.

[2] شاكر محمود: المتنبي، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980، ص 265.

المبحث الثاني: التعريف بعلم الدلالة

1. تعريف علم الدلالة:

حينما نتحدث عن الدلالة، أو علم المعاني عند القدماء، فلا ينبغي أن نفصله عن علم هو أوسع منه وأشمل، ألا وهو البلاغة، والتي لطالما عُنيت بالبيان والبديع والمعاني على حد سواء.

ومن الموضوعات التي أحاط بها العرب القدامى بالدراسة بهذا الصدد مسائل الترادف والتضاد، والحقيقة والمجاز، والمشترك اللفظي، والاشتقاق الأكبر، وأثر السياق، وتلازم اللفظ والمعنى في عملية التأليف، وكذا توقيفه أم اصطلاحية الدلالة، دون إغفال عمل المعاجم وترتيبها على حسب الألفاظ والمعاني.

أ. في المعجم:

قال ابن فارس: الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر: اضطرابٌ في الشيء. فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة.[1]

ويقول الجوهري: الدلالة في اللغة مصدر دَلَّهُ على الطريق دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، في معنى أرشده.[2]

وفي اللسان: ودَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إِليه، والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى، والدَّلِيل والدِّلِّيلي: الذي يَدُلُّك...[3]

وفي القاموس: ودَلَّهُ عليه دَلالَةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه.[1]

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج2، د ط، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، مادة دل، ص 259.

[2] الجوهري اسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، ط 4، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990، مادة دلل، ص 1698،

[3] ابن منظور: لسان العرب، ج1، د ط، دارالحديث،2006، مادة دلل، ص 399.

ويتضح أن هذا الإرشاد أو التسديد أو الإبانة، كما أوردها هؤلاء المعجميون (ابن فارس، والجوهري، وابن منظور، والفيروز آبادي) قد يصحبها قصد من الدالّ وقد لا يصحبها ذلك القصد، وذلك كما في الدلالة الطبيعية التي مثل لها بدلالة حركة الإنسان على حياته، واستشهد لذلك بقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾[2]

ولقد وردت مشتقات من لفظ الدلالة في القرآن الكريم في سبعة مواضع، خمسة منها مصحوبة بالقصد والإرادة ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ﴾[3]ـ، وفي قوله: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾[4] ، وفي قوله: ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[5]، وفي قوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[6] ، وفي قوله: ﴿ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾[7]

واثنتان لا يلاحظ فيهما ذلك، وذلك كما في الآية التي ذكرها الراغب:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾[8]، أما الآية الأخرى ففي قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾[9]

والدلالة في المواضع السبعة، هو: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كلاماً كان أو غير كلام.

---

[1]الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط 6، مؤسسة الرسالة، بيروت، مادة دلل،1998، ص 1000.
[2]القرآن الكريم، سبأ، آية 14.
[3]القرآن الكريم، طه، آية 40
[4]القرآن الكريم، القصص، آية 12.
[5]القرآن الكريم، سبأ، آية 7.
[6]القرآن الكريم، الصف، آية 10.
[7]القرآن الكريم، طه، آية 120.
[8]القرآن الكريم، سبأ، آية 14.
[9]القرآن الكريم، الفرقان، آية 45.

ومصطلح الدلالة في كلام النحويين لم يكن واحدا، ومن ذلك أنهم كانوا يقصدون به المعنى الصرفي، وأحيانا أخرى المعنى الدلالي بصفة عامة، وأحيانا ثالثة كانوا يقصدون به المعنى النحوي، أي وظيفة الكلمة في الجملة كالفاعلية والمفعولية والإضافة.

والواضح أن جل حديثهم الصريح عن الدلالة كان بهذا القصد، ومن هذا قول ابن جني عن الإعراب إنه " الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدها ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه "[1]

ويتصل بحديث النحاة أيضا عن الدلالة أننا نجد تقسيما مهما للدلالة عند ابن جني كذلك، يرى فيه أن الدلالات ثلاث: لفظية كدلالة (قام) بلفظه على مصدره، وصناعية كدلالة (قام) أيضا بصيغته على الزمن الماضي، ومعنوية كدلالة معنى هذا الفعل على ضرورة وجود فاعل له.

وقد كان من إسهام اللغويين العرب في هذا المجال: وضع معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ودراسة اتصال معاني الألفاظ المتحدة الأصول ومحاولة ربط بعضها ببعض فيما عرف باسم الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر، وكذلك بحث المطابقة بين اللفظ ومعناه من حيث مناسبة كل منهما للآخر، وتفسير العلاقة أيضا بين اللفظ والمعنى بأنها–وهذا رأي أكثرهم–عرفية اعتباطية (وضعية).

ب.الدلالة في الاصطلاح:

علم الدلالة، يُعرفه بعضهم بأنه: (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول المعنى) أو (ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في . الرمز . حتى يكون قادراً على حمل المعنى).

[1]ابن جني: الخصائص، ج1، ط1، دار الينابيع، دمشق، 1986، ص36.

ذكر التهانوي أن الدلالة في مصطلح أهل الميزان (المنطق) والأصول والعربية والمناظرة هي أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر.[1]

وحدَّها الأصفهاني بقوله: اعلم أن دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث إذا سُمِع أو تُخُيِّل لاحظت النفس معناه.[2]

وقال الزركشي: هي: كون اللفظ بحيث إذا أطلق فَهِم منه المعنى مَنْ كان عالما بوضعه له.[3]

وقال ابن النجار: كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر فالشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول.[4] أما عن الْمُحدَثِين، فقد عرف أحدهم علم الدلالة بأنه: "العلم الذي يدرس المعنى، أو دراسة المعنى"، أو "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى"، أو "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى".

وجعله بعضهم مرادفًا لدراسة المعنى، وعرفه لاينز بأنه: "البحث في المعنى بوجه عام"[5]

وبالعودة إلى (الدلالة) في اللسانيات الحديثة (البنوية) فعند سوسير هناك دال (لفظ) وهناك مدلول (معنى) أو مفهوم والدال والمدلول وجهان لورقة واحدة ولا يمكن الفصل بينهما، وإن تحليل الدال يؤدي إلى تحليل المدلول.

---

[1] التهانوي محمد بن علي: كشاف اصطلاحات الفنون ج1، ط 1، تح د. رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، 1996.

[2] الأصبهاني شمس الدين محمود بن عبد الرحمن، بيان المختصر، ط1، تح د. علي جمعة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة 1409هـ -2004م.

[3] الزركشي بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، ط3، تح/ لجنة من علماء الأزهر. دار الكتبي، 1424هـ-2005م.

[4] ا بن النجار، شرح الكوكب المنير، ط2، تح د. محمد الزحيلي، ود. نزيه حماد. مكتبة العبيكان. الرياض 1998م.

[5] جون لاينز: علم الدلالة، تح: مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة جامعة البصرة، العراق، 1980م، ص28.

وعلى ذلك؛ فإن علم الدلالة مَعْنِيّ بالمعنى في المقام الأول، ويعكف على دراسته.

2. أقسام الدلالة:

هنالك عدّة تقسيمات للدلالة، نورد أهمه فيما يلي:

أ. عند الجاحظ:

قَسَّم الجاحظ الدلالة إلى خمسة أقسام، فقال: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم الَعْقد، ثم الخط، ثم الحال، وتسمى نُصْبَة، فالألفاظ هي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خَاصِّها وعَامِّها، وعن طبقاتها في السَّارِّ والضَّارِّ، وعما يكون منها لغوًا بهرجًا وساقطًا مُطَّرَحًا.

فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف... والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط....

فأما الخط، فما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه:﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[1]وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال:﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[2] ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين.

وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به، قول الله عز و جل: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[3]، وقال جل وتقدس: ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[4]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ

[1] القرآن الكريم: العلق، الآية 4

[2] القرآن الكريم: القلم، الآية 1.

[3] القرآن الكريم: الأنعام، الآية 96

[4] القرآن الكريم: الرحمن، الآية 1 إلى 5.

إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[2] والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا؛ لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب في الآخرة....

وأما النُّصْبَة، فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان"[3].

ب. عند ابن جنّي:

وقسم ابن جني الدلالة إلى ثلاثة أقسام: لفظية، وصناعية، ومعنوية.

حيث يقول: " اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدّ مراعًى مُؤْثر إلا أنها في القوّة والضعف على ثلاث مراتب:

فأقواهنّ الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية. ولنذكر من ذلك ما يصحّ به الغرض. فمِنه جميع الأفعال. ففي كل واحد منها الأدِلَّة الثلاثة. ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله. فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه. وإنما كانت الدلالة الصناعيّة أقوى من المعنويّة من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقرّ على المثال المعتزَم بها. فلمّا كانت كذلك لحِقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة. وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال وليست في حيزّ الضروريات، ألا تراك حين تسمع (ضَرَب) قد عرفت حدثه وزمانه ثم تنتظر فيما بعد فتقول: هذا فِعل ولا بدّ له من فاعل، فليت شعري من هو وما هو فتبحث حينئذ إلى أن تعلم الفاعل

[1] القرآن الكريم: يونس، الآية 5

[2] القرآن الكريم: الإسراء، الآية 12

[3] الجاحظ: الحيوان، ج3، د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص124.

من هو وما حاله مِن موضع آخر لا من مسموع (ضرب) ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كلّ مذكّر يصحّ منه الفعل مجملا غير مفصَّل....[1] وفي المحصّلة، نستطيع القول إن الدلالة ثلاثة أنواع؛

1) **الدلالة العقليّة الذاتيّة:** وهي فيما إذا كان بين الدال والمدلول ملازمة ذاتيّة في وجودهما الخارجيّ، كالأثر والمؤثر.

ضوء الصباح يعني بزوغ الشمس.

2) **الدلالة الطَبْعِيَّة:** وهي فيما إذا كانت الملازمة بين الشيئين ملازمة طَبْعِيَّة، أي الّتي يقتضيها طبع الإنسان. ونحو اقتضاء طبع بعض الناس أن يفرقع أصابعه أو يتمطّى عند الضجر والسأم، أو يعبث بما يحمل من أشياء أو بلحيته أو يتثاءب عند النعاس

3) **الدلالة الوَضْعِيَّة:** وهي فيما إذا كانت الملازمة بين الشيئين تنشأ من التواضع والاصطلاح على أنّ وجود أحدهما يكون دليلاً على وجود الثاني، كالألفاظ الّتي جُعلت دليلاً على مقاصد النفس، وكالخطوط الّتي اصطلح على أن تكون دليلاً على الألفاظ، وكإشارات البُكمِ، وإشارات البرق واللاسلكيّ، والرموز الحسابيّة والهندسيّة، ورموز سائر العلوم الأخرى.

3. أنواع الدلالات:

وعلم الدلالة يفيد ويستفيد من علوم اللغة الأخرى كعلم الأصوات وعلم الصرف وعلم النحو، ففي علم الأصوات يظهر النبر والتنغيم وأثرهما في تغيير المعنى، وعلم الصرف يظهر ارتباطه بعلم الدلالة من خلال تغير المعاني بتغير أبنية الألفاظ، فمعنى غفر يختلف عن معنى استغفر، وكذلك علم النحو وما يحدثه التقديم والتأخير مثلا في تركيب الجمل من إحداث تغيير في المعنى

[1] ابن جني: الخصائص، ج2، د. ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1990، ص154/147

أ. الدلالة الصوتية:

لقد شغل بعض العرب القدماء كثيرا في بحث هذا المطلب ومنهم ابن جني، الذي يقول بوجود تلك المناسبة الطبيعية بين الدال والمدلول، وقد خصص ابن جني في كتابه الخصائص فصلين في هذا المبحث، وهما باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني وباب في إمساس أشباه الألفاظ أشباه المعاني، وقد عد ابن جني مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث بابا عظيما واسعا، ونهجا عند عارفيه مأموما، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها[1]

ويرى بعض الباحثين أن الدلالة الصرفية قد تستفاد من أصوات الكلمة نفسها، أي أن هناك علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، فكلمة تنضخ تعبر عن فوران السائل بقوة وعنف، وهي إذا ما قورنت بنظيرتها تنضح التي تدل على تسرب السائل في تؤدة وبطء، فإن تلك المقارنة تكشف عن أن لصوت الخاء في الأولى دلالة صوتية قوية، إذ إنه أكسبها–في رأي أولئك الذين يقولون بوجود هذه المناسبة–تلك القوة والعنف.

غير أنه ليس مقبولا لدى جل علماء اللغة المحدثين ما يذهب إليه القائلون بوجود تلك المناسبة، فالكلمة الواحدة قد لا تعبر عن أي معنى أولا، والمعنى الواحد قد يعبر عنه بعدة كلمات مختلفة الأصوات ثانيا، والأصوات والمعاني تخضع لقانون التطور المستمر ثالثا، فقد تتطور الأصوات وتبقى المعاني سائدة، كما قد تتغير المعاني وتظل الأصوات على حالها، وهذه حجة تدحض زعم القائلين بوجود تلك المناسبة.

لكن هذا لا ينفي أن يبقى قدر من الكلم يومئ بتشكيله اللفظي إلى معناه، ولعله من تلك الألفاظ التي تعد صدى لأصوات الطبيعة كما يرى دي سوسير، ولعل بعضه مما اجترحه الإنسان في اختباره للمعاني والألفاظ.

وقد تتجلى الدلالة الصوتية في التنغيم الذي لا يظهر بجلاء إلا في الجانب النطقي، فقد تكون هيئته هيئة استفهام، أو تعجب، أو إخبار، وكل هذه تؤثر في المعنى.

[1] ابن جني: الخصائص، ج2، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1990، ص159.

ب. الدلالة الصرفية:

تتمثل هذه الدلالة فيما تؤديه الزيادات الصرفية من معان مضافا إليها معنى الجذر المعجمي، فلو قيل: مرض الطبيب الرجل، لكان المعنى المتعين من هذا الفعل مرض مؤتلفا من معنى الجذر مضافا إليه دلالة هذه الصيغة التي تفيد القيام على المرض في هذا المقام، ولو قيل "مِحلب" بكسر الميم، لكان المعنى المتعين من هذا اللفظ هو دلالة حلب مضافا إليها دلالة هذه الصيغة الصرفية التي تدل على القدح الذي يحلب فيه، وإذا ما قيل "مَحلب"، فإن المعنى المستفاد بالإضافة إلى معنى الجذر دلالة صيغة مَفعل التي تدل على المكان الذي يحتلب فيه.

وهكذا يتبين أن لهذه القوالب الصرفية دورا في تقديم جزء من المعنى، وقد يحدث في بعض الأحيان أن تختلف هذه القوالب الصرفية دون أن يكون هذا مفضيا إلى اختلاف في المعنى، ومن ذلك مجيء صيغة "فعل وأفعل بمعنى واحد في بعض الأحيان، فيقال: محضته النصح وأمحضته النصح، والمعنى واحد. ونقول سلكته وأسلكته، قال الله عز وجل (ما سلككم في سقر)[1]، قال ساعدة بن العجلان:

وَهُمْ مَنَعُوا الطَّرِيقَ وَأَسْلَكُوهُمْ عَلَى شَمَّاءَ مَهْوَاهَا بَعِيدُ

أ. الدلالة النحوية

يدرس علم النحو من جانبين اثنين: جانب تركيب الجملة العربية، وجانب الإعراب، ومعرفة هذين الجانبين تفضي إلى المعرفة بالدلالة النحوية، إذ إن هندسة الجملة العربية تحتم ترتيبا خاصا وفق قواعد اللغة المعمول بها، وإذا اختلفت هذه الهندسة وكان الاختلاف مخلا بقواعد اللغة فإن السامع قد يضل عن مقاصد الكلام، فلو قال قائل: ضرب موسى عيسى لاقتضى هذا التركيب الجملي أن تكون الدلالة المستفادة منه أن موسى الفاعل، وعيسى المفعول به.

[1] القرآن الكريم: المدثر، الآية 42.

وتتضح جليا ثنائية اللفظ والمعنى بمفهومهما الواسع في تحليل النحاة في سائر الأبواب، وتسود–على وجه الخصوص–حديثهم عن مقدمات التأليف النحوي الثلاث، وهي: وحدات القول، والإعراب والبناء، والنكرة والمعرفة.

والقواعد التي تقوم على اللفظ والمعنى تتمثل فيما يلي:

أ. الحمل على المعنى والحمل على اللفظ.
ب. إصلاح اللفظ.
ج. الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى.

فأما الحمل على المعنى وعلى اللفظ، فالأول المشهور فيه أنه إعطاء الشيء الحكم اللفظي لما يشبهه في معناه.

وقد يتوجه معنى الحمل على اللفظ لما يقابل المفهوم السابق للحمل على المعنى فيكون المقصود به إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في لفظه.

وهناك معنى آخر لكل من الحمل على المعنى والحمل على اللفظ، وهو أن يكون للشيء حكم من حيث ظاهر اللفظ وحكم آخر من حيث المعنى، فإذا روعي في الاستعمال حكم ظاهر اللفظ سمي هذا حملا على اللفظ، وإذا روعي حكم المعنى سمي هذا حملا على المعنى.

أما إصلاح اللفظ، فقد أفرده ابن جني بباب مستقل وجعله من قبيل تهيئة اللفظ من أجل العناية بالمعنى.

وأما الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فقد ذكر ابن جني هذه القاعدة أيضا في أكثر من موضع تصريحا أو ضمنا، من ذلك قولهم: زيد قائم، ربما يظن أن زيدا هنا فاعل في الصنعة كما هو فاعل في المعنى، وليس كذلك لأن الفاعل من يقع بعد الفعل ويسند إليه.

4. الحقل الدلالي:

أو الحقل المعجمي، هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها. مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت المصطلح العام "لون" وتضم ألفاظاً مثل: (أحمر . أزرق . أصفر . أخضر . أبيض ... الخ)، وعرفه أولمان بقوله: "هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يُعبر عن مجال معين من الخبرة"، وليونز بقوله: "مجموعة جزئية لمفردات اللغة". وتقول هذه النظرية (نظرية الحقول الدلالية) إنه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً، أو كما يقول ليونز: يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي. ولهذا يعرف ليونز معنى الكلمة بأنه: "محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي". وهذا التحليل للحقول الدلالية هو جمع الكلمات التي تخص حقلاً معيناً، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام.

ويتفق أصحاب هذه النظرية . إلى جانب ذلك . على مبادئ منها:

1. لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
2. لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
3. لا يصلح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
4. استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

وقد وسع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع الآتية:

1. الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة. وقد اعتبرت ألفاظ الترادف والتضاد من الحقول الدلالية.
2. الأوزان الاشتقاقية، وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية.
3. أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.
4. الحقول السنتجماتية: وتشمل مجموعات الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبداً في نفس الموقع النحوي.

5. منزلة علم الدلالة:

إذا كان موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى بكل ما يتعلق به من قضايا؛ فإنه بلا شك هو الحصيلة النهائية للمنطوق بهيئته البنائية المعينة وما ينتظمه من عناصر أو لبنات منسوقة نسقاً خاصاً وفقاً لقواعد نظم الكلام في اللغة.

وعلم الدلالة –كما وصفه د. السعران: قمة الدراسات اللغوية.[1]

يقول د. السعران: علم الدلالة أو دراسة المعنى فرع من فروع علم اللغة، وهو غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية والقاموسية، إنه قمة هذه الدراسات.[2]

والبحث في دلالة الألفاظ أو دراسة المعاني علم جليل، "إذ يتوقف كثير من قضايا الحياة على فهم النصوص فهما صحيحا دقيقا، ففي ميدان الحقوق والقانون مجال كبير للاختلاف على دلالة الألفاظ في مجال المعاهدات الدولية، والاتفاقات التجارية، والمعاملات الاقتصادية"[3]وفي ميدان الدين –وخاصة في الفقه الإسلامي–تحتل النصوص موقعا خاصا، ويتعلق على فهمها تحديد الأفكار في العقائد، والأحكام في قضايا المعاملات والعبادات، ويقع لذلك الاختلاف في فهم مراد الشارع، وتحديد معاني الألفاظ في القرآن الكريم والحديث[4].

[1] علم اللغة مقدمة (ص213).

[2] علم اللغة مقدمة (ص213).

[3] د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية. بدون تاريخ، ص81 وما بعدها.

[4] د. العريان: علم الدلالة، ط1، دار المأمون، دمشق، 1979م ص5، 6.

الفصل الثاني

دلالة المعنى في قصيدة " فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبْ "

دلالة الصوت في قصيدة " فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبْ ".

دلالة النحو والصرف في قصيدة " فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبْ ".

دلالة المعجم في قصيدة " فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبْ ".

المبحث الأول: الدلالة الصوتية في القصيدة.

أولا: تعريف الصوت:

أ. الصوت لغة:

يعرف الخليل بن أحمد الصوت بقوله: "صوت فلان (بفلان) تصويتًا أي دعاه، وصات يصوت صوتًا، فهو صائت بمعنى صائح. وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات، ورجل صائت، حسن الصوت شديده، ورجل صيِّت حسن الصيت له صيتٌ وذكر في الناس حسن"[1]

ب. اصطلاحا:

ويعرف ابن جني الصوت قائلا: " الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا مّتصلا حتى يعرض له في الحلق، والفم، والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"[2].

أما المحدثون فيعرفون الصوت بأّنه عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي، يحدث في أثنائها انسداد كامل أو جزئي يمنع الهواء الخارج من الجوف من حرية المرور، وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت، وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله وهو الأذن.[3]

وتنقسم الأصوات اللغوية، وفق المعيار الفونولوجي، على قسمين هما:

---

[1] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: العين، ج7، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984، ص 246.

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، جزءان، ط 1، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985.

[3] وعلاء محمد جبر: المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 3،

الأصوات الصامتة

الأصوات الصامتة (الصوامت) هي كل أصوات اللغة العربية ماعدا الحركات منها، والحركات هي الفتحة بنوعيها القصير والطويل، والضمة بنوعيها، والكسرة بنوعيها، وبذلك يكون عدد الصوامت ثمانية وعشرين صوتًا عندما نضيف إليها نصفي الحركة الياء والواو[1]

1. الملامح التمييزية للصوامت، ودلالتها في النص الشعري:

أ. الجهر والهمس:

صفتان متضادتان، تمثل صفة الجهر قوة الصوت وارتفاعه، في حين تشير صفة الهمس إلى خفاء الصوت وضعفه، فالمجهور أقوى من المهموس في السمع، لأن الجهر هو علو الصوت ووضوحه، فيقال: " جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير ، وأَجهر، فهو مجهر إذا عرف بحدة الصوت و جهر الشيء: عَلن وبدا وجهر بكلامه، ودعائه، وصوته، وقراءته، يجهر جهرا وجهارًا وأَجهر بقراءته لغة، وأَجهر و جهور: أعلن به و أظهره" [2]وإذا ما تقصينا حقيقة الأصوات المجهورة وجدناها تخالف الأصوات اللغوية الأخرى بتفردها بميزة تزيد كمية أمواجها، ألا وهي اهتزاز الوترين الصوتي ينفي أثناء إنتاجها، فالصوت المجهور هو الذي يهتز الوتران الصوتيان عند النطق به، وهما المتسببان في إنتاج النغمة الموسيقية التي تسمى (الجهر).

والصوامت المجهورة في اللغة العربية كما دلت عليها التجارب الحديثة هي: الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والظاء، والعين، والغين، واللام، والميم، والواو والياء، والنون إضافة إلى نصفي الحركة الواو والياء.[3]

---

[1] يقصد بأنصاف الحركات، تلك الأصوات التي يكون التضييق فيها ضئيلا، بيد أن نسبة هذا التضييق، تكون أقلّ من نسبته عند إنتاج الصوامت، وأكثر من نسبته عند إنتاج الحركات ويشمل ذلك صوتي: الواو، والياء في نحو: ولد، ويلد.

[2] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، 9مج، دار الحديث، القاهرة،2003، المادة: (ج، ه، ر).

[3] المصدر نفسه.ا

أما الهمس فمعناه اللغوي: هو الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، قال صاحب اللسان: الهمس: " الخفي من الصوت..." [1]، وهو بذلك نقيض الصوت الظاهر الواضح، وفي التنزيل:" فلا تسمعُ إلّا همسا"[2]، فتدلُّ كلمة "همسًا" في الآية الكريمة، فيما تدلُّ، على خفوت الصوت.

أما في الاصطلاح فهو عدم اهتزاز الوترين الصوتيين، فإذا مر الهواء في الحنجرة دون ذبذبة الوترين الصوتيين، نتيجة انبساط فتحة المزمار، واتساع مجرى الهوا ء، وابتعاد الوترين الصوتيين، فإن الصوت الصادر يكون صوتًا مهموسًا، وهذا الصوت لا يسمع له رنين حين النطق به، ويفقد الصوت المهموس ما يكسبه الجهر في الأصوات من قوة؛ لعدم اهتزاز الوترين الصوتيين. "وليس معنى هذا أنليس لَلنَّفس معه ذبذباتٌ مطلَقا؛ وإلا لم تدركْه الأذن، ولكن المراد بهمس الصوت، هو صمت الوترين الصوتيين معه، رغم أن الهواء في أثناء اندفاع همن الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع، فيدركها المرء من أجل هذا" [3]، والصوامت المهموسة في اللغة العربية هي: التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والفاء، والقاف، والكاف، والهاء.

وقد اختلف اللغويون في شأن صوت الهمزة الذي ينطق "... بانطباق الوترين الصوتيين على نحو يخالف انفراجهما في النطق بالمهموس، ويخالف توترهما في حالة النطق بالمجهور؛ ولذا يمكن وصف الهمزة من هذا الجانب، بأّنها صوتٌ محايد من ناحية الهمس والجهر" [4]، فهي صامت ، " لا هو بالمجهور، ولا بالمهموس" [5]

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، 9مج، دار الحديث، القاهرة،2003، المادة: (هـ، م، س)، ص90.

[2] سورة طه. آية 108

[3] أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص 20.

[4] حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة. ط 2، دار الثقافة، القاهرة، 1981، ص 54.

[5] السعران محمود: علم اّللغة مقدمة للقارئ العربي، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ت)، ص 157.

يسهم الجهر والهمس في تشكيل المعنى وتوضيحه، كما أنه يتوافق مع الحالات الشعورية والنفسية، ومع الموقف الحياتي الذي يبغي الشاعر التعبير عنه"[1] ويكشف تجمع الأصوات المجهورة والمهموسة، في أسطر القصيدة، الخريطة الدلالية المرتبطة بالحالة النفسية التي يتولد في ظلها الخطاب، وفقا لمبدأ الوقت والجهد المتاحين للشاعر، وقد يحاكي هذا التنوع نوعًا من الانفعالات والمضامين، التي يريد الشاعر أن يثيرها.

ثانيا: الحركات

هي الأصوات المجهورة التي يحدث في أثناء تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، دون أن يكون هناك عائق، يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما، أو تضييق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا؛ والحركات في اللغة العربية هي الفتحة والضمة والكسرة بنوعيها الطويل والقصير. والفرق بين الحركات القصيرة والطويلة فرق في الكمية لا في الكيفية، بمعنى أن وضع اللسان في كلتيهما واحد، ولكن الزمن يقصر ويطول فيكلِّ صوت، فإذا قصر الزمن كانت الحركة قصيرة، وإن طال كانت الحركة طويلة وفيما يتعلق بوضع الشفتين، في أثناء إنتاج الحركات، نجد أن للشفتين أثرًا كبيرًا لما تتخذه من أوضاع في أثناء نطق الحركات، فهما تتخذان وضع الانفراج مع الكسر ة، بنوعيها القصير والطويل، ووضع الضم مع الضمة، بنوعيها القصير والطويل، في حين تتخذ وضعًا محايدًا مع الفتحة، بنوعيها القصير والطويل. وتعد الحركات، وظيفيا، مقطعية لأنها هي التي تحدد المقاطع الصوتية في الكلام، بمعنى أنها أكثر مكونات المقطع الصوتي وضوحًا في السمع، وذلك لأنها تحتل القمم، والقمم هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح.

[1] مبروك، مراد عبد الرحمن: من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري. ص 48

أ. **دلالات الحركات:**

إن تميز الحركات بصفتي الوضوح والجهر، واتساع مخرجها، وخّفتها في النطق، وطولها في النفس جعل منها " عنصرًا مهمًا في جماليات التشكيل الصوتي، وفي توضيح ما يسمى التآلف اللحني للشعر، وإدراك قيمه الموسيقية، ونشاطه الإيقاعي. وهذه الفاعلية الجمالية تتحدد بأشياء كثيرة منها: الّنغمة المميزة لكلّ صوت من هذه الأصوات، وغنى الصوت بالنغمات الثانوية، والإحساس الحركي المصاحب للنطق بالصوت... ومتى قررنا هذا المبدأ فهمنا أن أصوات المد ذات دلالة ذاتية في خلق النشاط الموسيقي أو تكوين المعنى"[1]

وكان لاتساع مخرجها أكبر الأثر في تنوع دلالاتها، وقدرتها في التعبير عن المشاعر والأحاسيس بشكل أوسع". وشعرنا المعاصر حافل بتوظيف الحركات الطوال في حمل المشاعر الممتدة، والأحاسيس العميقة" [2]

وقد يوافق الطول الزمني للحركات، التي تستغرق وقًتا أو زمًنا عند النطق بها، حالة الأسى التي يحسها الشاعر، وقد يصنع بذلك إيقاعا يمكِّن المتلقي من مشاركة الشاعر حالته النَّفْسية، "فالإيقاعات الثقيلة الممتدة في الزمن تشاكل حالات الشجن والحزن، والإيقاعات الخفيفة المتقاربة تشاكل الطرب وشدة الحركة"[3] فهي إذن تمكن الشاعر من إيصال مكنوناته الداخلية من مشاعر وأحاسيس، وتجاربه المرتبطة بذاته إلى المتلقين، فينشأ بينهم نوع من المشاركة الوجدانية.

---

[1] سلوم تامر: نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة 1409هـ – 2004م، ص 51.

[2] السعدني مصطفى: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، 1987، ص 37

[3] عبد الرحمن ابراهيم: قضايا الشعر في النقد الأدبي، ط1، دار العودة، بيروت،،1981، ص 3.

وتتمثل القيمة الإيقاعية للحركات، في البنية الإيقاعية الشعرية، في أنه كما تعطي الصوامت القيمة السمعية عند التكرار، تهب هذه القيمة بشكل أوفر الحركات الثلاث (الفتحة، والكسرة، والضمة)، فتتمحض لانطلاق الصوت مسافة أطول، وهي عند التكرار يُلمس لها تطريب تطيب له النفس، ويأنس إليه السمع والوجدان كما أن للحركات خاصية تمتاز بها على غيرها من الأصوات؛ تتمثل في أنها "[1] للّتطريب، وهي بالشعر ألصق؛ لأن الشعر في الأعم، وبخاصة العربي، يمثل غناء النفس أشواقها، وآلامها، وأفراحها التي تناسبها مدات الشجا، والأسى، والحنين، والأنين، والسراء، والضراء؛ هذه المدات دخلت في حسبان النقد الأدبي وسيلة من وسائل تصوير المشهد الذي ينقلنا إليه الشاعر نشيده.

ثالثا: المقاطع الصوتية:

حين يتكلم الإنسان فإنه ينطق بسلسلة من الأصوات المتتابعة، هذه الأصوات تترابط وتتآلف في مجموعات نسميها كلمات، ثم تنتظم الكلمات في جمل وعبارات، فتؤدي بذلك إلى معنى مقصود وواضح من المتكلم إلى المتلقي، فالكلمات حزم صوتية متشابكة ومترابطة العناصر، لا يمكن تجزئتها صوتيا.

1. تعريف المقطع:

يعود المعنى الاصطلاحي للمقطع إلى الفارابي، فهو أول من ذكره، والمقطع عنده حصيلة اقتران حرف غير مصوت (صامت) بحرف مصوت (حركة)، فنجده يقول في ذلك "المقطع مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت" [2]

ويعرفه عبد الصبور شاهين بأنه: "مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة فيتأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي؛ فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعا يعبر عنه مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت وحركة[1] .

[1] السيد عز الدين: التكرير بين المثير والتأثير. ط 1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة،1978، ص9.

[2] الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان: كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب الجديد، القاهرة، (د.ت)، ص 1072.

وتصّنف المقاطع العربية من حيث معيار القوة والضعف الذي يعتمد على الزمن الذي يستغرقه النطق بلب المقطع (النواة والخاتمة) إلى:

أ. **المقطع الضعيف:**

"يكون المقطع ضعيفًا إذا كان اللب فيه مؤلفًا من حركة قصيرة، متلوة بما لا يزيد على صامت قصير واحد، ومن أمثلته المقاطع الثلاثة في البنية التالية **درستم:** دَ–رَسْ–تُمْ.

ب. المقطع القوي:

"ويقصد به المقطع الذي يستغرق زمن النطق به أكثر من زمن الضعيف ويتألّف اللب فيه من أحد الأشكال التالية: حركة طويلة متلوة بخاتمة أو دونها نحو؛ **ما:** مَ–اْ–اْ، أو: **مال:** مَ–اْ–اْ–ل.

أو حركة قصيرة متلوة بصامتين أو أكثر نحو؛ **خبز:** خُ–بْ–زْ أو حركة قصيرة متلوة بصامت طويل على الأقل نحو؛ **خطَّ:** خَ–طْ–طَ. ويقصد بالصامت الطويل، الصامت المضعف أو المشدد كما في الكلمة السابقة، أما الصامت القصير فيقصد به الصامت غير المشدد الوحيد نحو **ضَعْ.**

2. دلالة المقاطع الصوتية:

نعرف أن نطق الأصوات إنما يكون بتجمعات من المقاطع، فالمقطع هو الذي يخرج

الصوت إلى الحياة، وللمقاطع دورها العظيم في العملية الكلامية؛ فالمنطوق اللّغوي يتكون عمليًا من مقاطع، وليس من سلسلة خطية من الصوامت والحركات، فهي الهيكل التّنظيمي الذي تأتلف فيه الأصوات اللغوية؛ مشكلة بذلك الكلام.

ويتحدد وضوح المقطع الصوتي، بنوعية الأصوات التي تشكله. إن نوعية المقاطع هي التي تحدد قمم الوضوح في الكلمة، وتتفاوت نغمة الكلمة، وفقا لنوعية مقاطعها، كما تحدد المقاطع نوعية التشكيل المقطعي عند الشاعر، فالمقاطع المفتوحة التي تنتهي بحركة، تكون

[1]شاهين عبد الصبور: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. ط، مؤسسة الرسالة. بيروت،1980.

أوضح من المقاطع المغلقة التي تنتهي بصوت صامت، والشاعر الذي يميل في انتقاء الكلمات ذات المقاطع المفتوحة يزيد من قوة الوضوح في السلم الموسيقي الداخلي للقصيدة، وبخاصة إذا تفاعلت هذه القمم وانسجمت مع القوافي في نهايات الأسطر؛ لأن جميع هذه القمم تمثل نقاط الارتكاز السمعي، وتنسق تنغيم الأسطر، إذا وفق الشاعر في أعماق حسه في التقاط ذلك الانسجام، والّتوافق.

كما أن الشاعر الذي يتوخى جودة نصه، يختار من ّاللفظ ما مقاطعه سهلة في النطق، مراعيًا بذلك فطرة ّاللسان الذي " يتحرك أولا، إلى الجزء الذي حركته إليه أسهل" [1]،وينظم ألفاظه بشكل يسمح بتآلف تلك المقاطع، بشكل تنبعث معه موسيقى شعرية، غير أن اختيار الألفاظ، وتنظيمها، يحتاجان جهدًا كبيرًا من الشاعر، وذلك لبناء التفاعيل المحددة للمقاطع.

ويلاحظ أن المقاطع بأنواعها، القصيرة والمتوسطة والطويلة، ترتبط بالانفعالات

والمضامين المختلفة؛ فطول المقطع وقصره يرتبطان بالحالة النفسية، والعواطف، والمضامين التي تجسدها القصيدة "وكّلما كان المقطع مغرقا في الطول توافق مع هذه الآهات الحبيسة التي يخرجها الشاعر في شكل دفقات هوائية شعورية صوتية تتجسد في الصيغة اللغوية للمقطع، وتتراص مع المقاطع الصوتية الأخرى"[2]

تعريف الدلالة الصوتية:

يقصد بالدلالة الصوتية ما تؤديه الأصوات اللغوية المكونة لبنية الكلمة من دور في إظهار المعنى، وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، سواء أكانت هذه الأصوات صوامت أم حركات، وتشكل هذه الأصوات اللغوية العناصر الصوتية الرئيسة لمجموع أصوات الكلمة التي قد ترمز إلى معنى معجمي، كما قد تتحّقق الدلالة الصوتية من مجموع

[1] الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان: كتاب الحروف، ط 2، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1990، ص 136.

[2] مبروك مراد عبد الرحمن: من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري. ص 54.

تآلف أصوات البنية اللغوية وطريقة أدائها الصوتي، ومظاهر هذا الأداء، وهذا ما يعرف بالعناصر الصوتية الثانوية التي تصاحب الكلمة المفردة.

وبناء على ذلك، فإن الدلالة الصوتية تتحّقق من خلال دلالة الأصوات التركيبية وتشمل: الصوامت، والحركات، وأنصاف الحركات، ودلالة الأصوات غير التركيبية، مثل: النبر والتنغيم، وغيرهما من الآداءات الصوتية المختلفة التي اصطلح على تسميتها بالعناصر الصوتية الثانوية باعتبارها ملامح صوتية.

ويعرف إبراهيم أنيس الدلالة الصوتية بأّنها " الدلالة التي تستمد من طبيعة الأصوات

نغمها وجرسها"[1]، فتوحي بوقع موسيقي خاص، يستنبط من تآلف الحروف، وتشكُّلها في البنية اللغوية، والفضل في فهم السامع يرجع إلى إيثار صوت على آخر، أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به.

الصوت والدلالة:

إن الّتطرق إلى علاقة الصوت بالدلالة، يرتبط بطبيعة العلاقة بين الدالّ والمدلول،

على اعتبار الصوت دالا؛ لأّنه يمثل مكونا شكليا في اللغة، ويراد بالشكل هنا، كما هو مفهوم من السياق، مادة اللفظ الصوتية التي تمّثل الصيغة الخارجية للشكل، أما المدلول: فهو الفكرة التي يستدعيها اللفظ. وهذه العلاقة المزدوجة هي القوة التي تربط الصوت بمدلوله، أي الصيغة الخارجية للكلمة بالمحتوى الداخلي لها.

I. الدراسة التطبيقية لدلالة الصوت في قصيدة " فهمت الكتاب ":

لا شك أن المتنبي صحب أميره في حلب ما يقرب من تسع سنوات، وكان أكثر شعره في تلك الفترة في مدحه، ويعد شعره فيه من أصفى نظمه وأنقاه، وقد أبدع فيه المتنبي في

[1] إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ط 7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص 46.

وصف معاركه، وكان شعره صورة ناطقة لحروبه مع الروم، وسجلا حافلا ببطولاته. وقد سطر في ثمان وثمانين قصيدة حبه الشديد لسيف الدولة، الذي عده الفارس العربي الذي يحمل كل القيم، والمبادئ التي كان أبو الطيب يبحث عنها

فترة ليست بالقليلة من حياته، إلى درجة أنه كان عندما يمدح أميره، كان يمدح فيه صورة الرجل المثال التي كان يحلم أن يجدها في زمانه. وهذا يدعونا للبحث إلى أيمدى كان المتنبي موفقًا في اختيار أصوات ألفاظه الشعرية في القصيدة؟ وهل كان للعنصر الصوتي فيها أثر في الدلالة على المعنى؟

ومن الضروري عند تحليل نص ما تحليلا صوتيًا، أن نحصي عناصره الصوتية:

الأصوات الصامتة، والحركات، إضافة إلى المقاطع الصوتية، متتبعين هذه العناصر، مبينين عوامل القوة والضعف في هذه الأصوات، وما قد يكون للنسيج المقطعي من دلالات، وأثر موسيقي؛ ليتبين لنا مدى تأثير هذه الأصوات في المتلقي، كما يمكن أن يتبين لنا أثر هذه الأصوات بما تتصف به من ملامح قوة وضعف في جمال النص الشعري.

1. <u>دلالة الأصوات الصامتة:</u>

1. فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبِ فَسَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ العَـــــرَبْ
2. وَطَوْعًا لَهُ وابْتِهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَّرَ الفِعْلُ عَمَّا وَجَـــــبْ
3. وَمَا عَاقَنِي غَيْرَ الوُشَاةِ وَإِنَّ الوِشَايَاتِ طُرُقَ الكَـــــذِبْ
4. وَتَكْثِيرُ قَوْمٍ وَتَقْلِيلُـــهُمْ وَتَقْرِيـــــبُهُمْ بَيْنَنَا وَالخَبَـــــبْ
5. وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالحَسَـــــــبْ
6. وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللُّجَيْنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّاهِـبْ
7. فَيَقْلَق مِنْهُ البَعِيدُ الأَنَاةِ وَيَغْضَبَ مِنْهُ البَطِيءُ الغَضَبْ
8. وَمَا لَاقَنِي بَلَدٌ بَعْـــــدَكُمْ وَلَا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَايَ رَبْ
9. وَمَنْ رَكِبَ الثُّورَ بَعْدَ الجَوَادِ أَنْكَرَ أَظْـــــــلَافَهُ وَالغَبَـــــبْ

10. وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ البِلَادِ فَدَعْ ذِكْرَ بَعْـــــضِ بِمَنْ حَلَـبْ

الأصوات المجهورة			الأصوات المهموسة		
الصوت	العدد	النسبة المئوية	الصوت	العدد	النسبة المئوية
ل	38	% 17،92	ت	15	% 18،51
ب	33	%15،56	ق	14	% 17،28
و	26	% 12،26	ه	12	% 14،81
ن	25	% 11،79	ك	11	% 13،58
م	24	% 11،32	ف	08	% 09،87
ر	19	% 08،96	س	05	% 06،17
ع	14	% 06،60	ص	04	% 04،93
د	09	% 04،24	ط	03	% 03،70
ي	08	% 03،77	ش	03	% 03،70
ض	04	% 01،88	ح	02	% 02،46
ج	04	% 01،88	خ	02	% 02،46
غ	04	% 01،88	ث	02	% 02،46
ذ	03	%01،41	المجموع	81	% 26،64
ظ	01	% 00،47			
ز	00	% 00			
المجموع	212	% 100			
مج كلي	293	% 69،73			

الهمزة:11 النسبة المؤوية: % 03،75

يبين لنا الجدول السابق، أن نسبة **الأصوات المجهورة** تجاوزت في الأبيات العشرة من المدونة 60 بالمائة تقريبًا، وأن أكثر هذه الأصوات المجهورة تكرارا هو صوت **اللام** المجهور الذي تكرر 38 مرة، وبلغت نسبته (17،92 %)، فقد تكون، لكثرة تكراره في النص، دلالاته

التي تلاؤم موضوع القصيدة، وغرضها، وتتميز اللام التي تّتسم بالرنين، والوضوح السمعي، بجمال موسيقاها، فهي صوت جانبي ذو ذبذبة عذبة لطيفة، مما أغنى الجانب الموسيقي في الأبيات، ثم إن هذا الصوت يحمل الدلالة على القوة، ويوحي بالثَّبات والتَّماسك بسبب تحّفز أعضاء النطق في إنتاجه. ولنا أن نلمس في هذه اللام إيحاء آخر، فإذا كانت من الأصوات (المائعة/ الرنانة)، فإن من شأن هذا الملمح، وما ينتج عنه من السهولة واليسر أثناء إنتاج اللام، أن يدعم الدلالة على أّنه نصر تحقق بسهولة ويسر دون عناء ومشقة، وَتكبد الخسائر. ولوضوح هذا الصوت في السمع، فقد كان له أثره في إسماع الآخرين بهذا النصر.

يلي صوت **الباء** صوت اللام في نسبة تكراره، فقد تكرر (33) مرة، وبلغت نسبته (15،56 %)، ليوحي بتكراره بجو من القوة بسبب التصادم القوي بين طرفي النطق وهو من الأحرف الشفوية حيث أن مخرج هذا الصوت هو باطن الشفة العليا مع باطن الشفة السفلى.

ونلاحظ تكرار صوت اللين **الواو** في الأبيات (26) مرة، وبلغت نسبته حوالي (12،26 %)ليوحي بالدلالة على القوة بسبب حركة أقصى اللسان، واستدارة الشفتين 3 مما يمنح هذا الصوت قوة وعمقًا.

ثم أن نصفي الحركة الواو قد أكسبت القصيدة موسيقية، وذلك لوضوحها في السمع، فهي تتمتع بطاقة موجية أقوى من الصوامت، فتؤثر أكثر في المتلقي؛ ذلك لأن "الأمواج الصوتية المتجمعة في الأذن الخارجية، تسبب ذبذبة مماثلة في طبلة الأذن.

كما نلاحظ تكرار صوت **النون** في الأبيات (25) مرة، وبلغت نسبته حوالي (11،79%)؛ ليوحي بتكراره بجو من الشَّجن والهدوء المناسبين لجو القصيدة، كما أنصوت النون من الأصوات الأنفية، المائعة، الواضحة في السمع، التي تبدو للسامع وكأنها خارجة من الأعماق، مما أكسب النص موسيقى تنجذب لها الأسماع، وتتساوق مع غرض المد ح، والإشادة بالممدوح، وساعد شاعرنا على إخراج شحنات من الحزن العميق الكامن في نفسه،

ووصولها إلى المتلقي، الأمر الذي أدى إلى إيجاد نوع من المشاركة الوجدانية للشاعر من قبل المتلقي.

ثم نضيف كذلك صوت **الميم** والذي تكرر (24) مرة وبلغت نسبته (11،32)%فما يحدث عند إنتاج هذا الصوت من ضغط على الشفتين، وتذبذب للوترين الصوتين، وخروج للهواء من الأنف بسبب انخفاض سقف الحنك اللين (الحنك الأقصى) إلى أسفل، كلها ملامح تجعل هذا الصوت يحمل الدلالة على العظمة والجلال، ويبعث جوا من الهدوء والوقار في النّص.

ومن صفات هذا الصوت الغنَّة، التي تكسبه موسيقية وإيقاعًا، والغَّنة من علامات قوة

الحرف"؛ لما فيها من "تردد موسيقي محبب..." [1]. أضف إلى ذلك أن هذا الصوت من الصوامت الاستمرارية وهي الأصوات التي يمكن للمتكلم إطالتها، كما يعد من أوضح الصوامت في السمع.

يتبين لنا، من خلال هذا الجدول، سيطرة تيار الأصوات المجهورة على النّص، لأنه الأكثر ملائمة لمعاني القوة والحزم اللذين أراد الشاعر وصف سيف الدولة بهما، والأقدر على الإيحاء بمعاني الوعد، والوعيد، والصلابة، والعظمة، والكثرة، والحركة، والعنف، والسرعة.

أما **الأصوات المهموسة** فبلغت نسبتها في الأبيات السابقة حوالي (26،24%) ونرى أنها سِبَقت، أو أُتبعت بأصوات مجهورة تمتاز بملامح قوة أخرى غير الجهر كالميم التي تمتاز بالغنة، والوضوح السمعي، في مثل (سمعه ، نعماي ملوك...)، واللام التي تمتاز بالجانبية في مثل: (ملوك ، أظلافه..)، والحركات الطويلة ذات الوضوح السمعي العالي، من مثل: (الوشايات ، ابتهاجا ، الجواد ، الثور...)؛ لتكسب هذه الأصوات قوة، وجرسا، تلائم صفات الممدوح وتنسجم معها، وتترك صدى في الآذان. يتبين لنا كذلك

[1] أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية. ص 69

من خلال الجدول، أن أكثر الأصوات المهموسة تكرارا هو صوت **التاء** يدل على الاضطراب في الطبيعة، فإن هذا الصوت الانفجاري المهموس الذي يتكون بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة، وانحباس الهواء مدة من الزمـن خلف طرف اللسان، ثم انفصـاله فجـــأة تاركًا نقطــة الالتقاء، يتكرر في الأبيات السابقة (15) مرة، وبلغـت نسبته

(18،51%)؛ ليعكس بتكراره على هذا النحو، ما يحس به الشاعر من اضطراب وضياع.

يليه صوت **القاف** الذي تكرر (14) مرة، وبلغت نسبته حوالي (17،28%)، وهو في الأصل مجهور أصابه التهميس في معظم الألسنة الآن وهو أيضًا شديد مفخم مخرجه من اللهاة مع أقصى الحنك الأعلى شبيه بحرف الكاف.

ثم يليه صوت **الهاء** الذي تكرر (12) مرة، وبنسبة بلغت حوالي (14،81%)، وهو من الأصوات التي ربما تصدر عن الإنسان لا لغرض الكلام، بل بسبب إرهاق أو تعب، أو حالة نفسية معينة دون قصد منه، فهو اندفاع غزير للهواء في عملية تنفسية ينتج عنها سماع صوت الهاء، يقول إبراهيم أنيس: "والهاء صوت مهموس يجهر به فيبعض الظروف اللغوية الخاصة... وعند النطق بالهاء المجهورة يندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع من الأصوات الأخرى، فيترتب عليه سماع صوت الحفيف مختلطًا بذبذبة الوترين الصوتيين". فكان هذا الصوت مناسبًا للآهات الحبيسة النابعة من أحزان المتنبي نتيجة خلافه مع سيف الدولة، وخيبة أمله به، وانقطاع رجائه منه.

ولنا أن نقول، إن ورود الأصوات المهموسة في هذه القصيدة بنسبة (26،64%) تقريبًا، وإن كانت نسبة حضورها على مستوى أصوات النص أقلّ من نسبة حضور الأصوات المجهورة، يتوافق وطبيعة الموقف الذي قيلت فيه القصيدة، وطبيعة الغرض الشعري، وهو العتاب وإن كان قد مدح سيف الدولة، في هذه الأبيات، إلا أن نفسه كانت منكسرة حزينة لعدم إنصافه له.

من هنا، نستطيع أن نقول إن الأصوات المجهورة قد حظيت بنصيب الأسد في القصيدة، فقد بلغت نسبتها حوالي (69%)، إذ أكثر الشاعر منها، وأكثرها " اللام والباء والواو "، مما يدلّ

على التعبير عن التوجع والتحسر اللذين أحس بهما الشاعر إثر الجفوة التي حصلت بينه، وبين سيف الدولة.

كما تكرر صوت **الهمزة** الذي لا يتسم بالجهر ولا بالهمس (15) مرة، فهي، بتراكمها الصوتي الناتج عن الجهد النطقي المضاعف الذي تنغلق معه فتحة المزمار، استطاعت أن تجسد عواطف الشاعر المشحونة بالّتحسر، واللوعة من الحزن والألم على فراق الأمير.

11. دلالة الحركات:

تتميز الحركات، كما عرفنا، بقوة إسماع عالية تفوق غيرها من أصوات اللغة، ولعل السبب في اكتسابها هذه السمة المميزة يرجع إلى أمور كثيرة، منها: طريقة خروجها الانطلاقية الحرة من غير أن يتعرض مرور الهواء لتدخل الأعضاء تدخّلا يمنع خروجه، أو يسبب له احتكاكًا مسموعًا، وقد سمح لها عدم الاحتكاك بأن تحمل طاقة أعلى بكثير مما تحمله الصوامت التي تفقد كثيرا من طاقتها في أثناء الاحتكاك بمواضع من جهاز النطق، ومما يزيد من قوة إسماع الحركات أنها أصوات مجهورة. والجهر صفة قوة تمنح الصوت الموصوف بها وضوحًا في السمع.

ولهذه القوة في الحركات دلالتها المميزة في النّص الشعري، إذ لاُ تحللُ الأصوات الصامتة في علاقتها بالدلالة دون أخذ الحركة بعين الاعتبار، وربطهما بالدلالة أمر ضروري لدراسة النص الشعري؛ إذ "لا يمكن أن تثمر دراسة الدلالة ما لم ترتكز على الصور الصوتية" [1]

فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبِ فَسَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ العَرَبْ

وَطَوْعًا لَهُ وابْتِهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَّرَ الفِعْلُ عَمَّا وَجَبْ

وَمَا عَاقَنِي غَيْرَ الوُشَاةِ وَإِنَّ الوِشَايَاتِ طُرُقَ الكَذِبْ

وَتَكْثِيرُ قَوْمٍ وَتَقْلِيلُـــهُمْ وَتَقْرِيـــــبُهُمْ بَيْنَنَا وَالخَبَبْ

[1] الشعراوي ناهد أحمد السيد: عناصر الإبداع الفني في شعر عنترة، دار المعرفة الجامعية، مصر،1996، ص 208.

وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالحَسَـبْ

بلغ عدد الحركات بنوعيها، القصير والطويل، في الأبيات السابقة (261) حركة، وقد جاءت موزعة على النحو الآتي:

نوع الحركة	العدد الكلي للحركة		الحركات القصيرة		لحركات الطويلة	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الفتحة	66	59.45	56	58.94	10	62.5%
الكسرة	26	23.42	20	21.05	6	37.5%
الضمة	19	17.11	19	20	00	00%
المجموع			95		16	

نرى من خلال الجدول السابق، أن الشاعر أكثر في هذه الأبيات من استخدام الحركات(الفتحة، والكسرة، والضمة) بنوعيها، القصير والطويل، حيث وردت الفتحة بنوعيها، القصير والطويل، (66) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (59،45%)، تلتها الكسرة بنوعيها، القصير والطويل ،التي وردت (26) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (23،42%)، أخيرًا جاءت الضمة بنوعيها، القصير والطويل، فقد تكررت (19) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (17،11%)، ولهذا دلالته في النص الشعري، بما يتوافق ونفسية المتنبي، واهتماماته الكبرى، إن هذه الأبيات تشير إلى نوع من الانزعاج والقلق، وخوف من الوشاة وكيد الحساد، فطول البعد وعمق شوق الشاعر إلى ممدوحه وحنينه إليه، كّلها معان لا يعبر عنها صوت آخر غير الحركات، تلك الأصوات التي ينسجم كمها الصوتي، واتساع مخرجها وامتدادها مع عظم الشوق والحنين اللذين يسيطران على عاطفة الشاعر؛ لذا جاء تكرار الحركات

بنوعيها القصيرة والطويلة (111) ؛ مناسبًا للتعبير عن مدى لهفة وشوق وحنين الشاعر لسيف الدولة.

ونحن نلحظ غلبة استعمال الشاعر للفتحة الطويلة إذ إنها تعد أخف الحركات، وأقواها إسماعًا، وأكثرها قدرة على التّعبير عن معاني الشوق والحنين، فهي الحركة التي وصفت بالمّتسعة؛ لاتساع مخرجها لهواء الصوت، ولأن اللسان يكون " مستويًا في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، فينطلق الهواء من الرئتين، ويهز الأوتار الصوتية وهو ما ربها " [1]فهي باتساعها، وجهرها تفسح المجال أمام الشاعر للتعبير عن مكنوناته الداخلية دون وجود ما يعيقه، أو يقف حائلا أمام الإفصاح عن معاني اللهفة، والحنين الكامنة لديه.

تلت الفتحة، الكسرة بنوعيها، القصير والطويل، وهي كما نعرف حركة أمامية ضيقة،

تكون الشفتان فيها في حالة انفراج، وتراجع نحو الخلف، من هنا تأتي مناسبتها للتعبير عما يعانيه الشاعر، ويقاسيه في قلة حظه من نيل مراده ومطمحه.

أما استخدام الشاعر للضمة بنوعيها، القصير والطويل، فقد جاء قليلا، وهو في هذا

يتدرج فيكمّ استخدامه للحركات الطويلة من الأخف إلى الأثقل؛ ذلك لأن " نشاط أعضاء النطق مع الفتحة قليل جدا، قياسا على الكسرة التي يصحبها، ارتفاع مقدم اللسان وانفراج الشفتين، وفي الضمة الجهد يتضاعف بارتفاع مؤخر اللسان، وتراجعه إلى الخلف قليلا، فضلا عن جهد ضم الشفتين الأقوى من انفراجهما" [2]، فبدأ بالفتحة وهي أقلّ الحركات العربية شدة، وأسهلها نطقًا؛ لأنها أكثرها اتساعًا، ثم الكسرة، وهى أضيق من الفتحة، ثم

[1]ينظر: عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص 92

[2] الجبوري محمد يحيى سالم: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 104.

الضمة، وهى أكثر الحركات العربية ضيقًا، أي أعظمها شدة، وهذا الاشتداد المتدرج ينسجم مع اشتداد انفعال الشاعر، ويتلاءم مع نفسيته، وهو في تعبيره عن حزنه يلجأ إلى استخدام أخف الحركات، وأسهلها نطقًا، وأكثرها اتساعًا. هذا إضافة إلى أن الضمة حركة ضيقة ثقيلة، توضع في مقدمة الحركات الثقيلة في النطق، ولهذا انعكاساته الدلالية، فهي تعكس دلالات القوة في موقف يشيد فيه شاعرنا ببطولة الأمير.

12. دلالة المقاطع الصوتية

يرتبط عدد المقاطع الصوتية التي يستخدمها الشاعر بالحالة الشعورية التي تسيطر عليه ارتباطا وثيقا، فإذا كان هادئا جاءت قصيدته ذات مقاطع كثير ة، ويميل إلى استخدام المقاطع القصيرة والمتوسطة، ويكون ذلك في أغراض يبتعد فيها الشاعر عن الانفعالات النفسية: كالمدح والوصف والغزل، أما إذا سيطرت عليه الانفعالات النفسية في حالة الحزن الشديد أو الفرح العميق، فإن عدد المقاطع عند الشاعر يقل، وتزداد طولا، فتنتج لدى الشاعر المقاطع الطويلة والقليلة التي تتناسب وحالة الاضطراب، وعدم الاستقرار التي يعيشها. وللتعرف إلى النظام المقطعي في القصيدة؛ نأخذ الخمسة أبيات الأولى على سبيل المثال:

فَهِمتُ الكِتاب أَبَرَّ الكُتُـــب

فَهِمْتُ لْكِتَابَ أَبَرْرَ لْكُتُبْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ح ص ح ص ح ح ص

فَسَمْـعـاً لِأَمرِ أَمِيرِ العَـرَبْ

فَسَمْعَنْ لأَمْرِ أَمِيرِ لْعَرَبْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ح ص ح ص ح ح ص

وَطَوعاً لَهُ وَابتِهاجـــــابِهِ

وَطَوْعَنْ لَهُوْ وَبْتِهَاْجَنْ بِهِيْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ح ص

وَإنقَصَّرَ الفِـــعل ُعَمـــاً وَجَبْ

وَإِنْ قَصْصَرَ لْفِعْلُ عَمْمَاْ وَجَبْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ح ص

وَما عاقَني غَيرُ خَوفِ الوُشاةِ

وَمَاْ عَاْقَنِيْ غَيْرَ خَوْفِ لْوُشَاْتِيْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص

وَإِنَّ الوِشـــايـــاتِ طُـــرقُ الكَذِبْ

وَإِنْنَ لْوِشَايَاْتِ طُرْقُ لْكَذِبْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ح ص

وَتكثـــيرِ قَـــوم وَتَقليلِـــــهِم

وَتَكْثِيْرُ قَوْمِنْ وَتَـقْـلِـيْـلُهِمْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ح ص

وَتَفريـــــــبُهـــم بَينَنا والخَبَـــبْ

وَتَفْرِيـبْـهمْ بَيْنَنَاْ وَلْخَبَبْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ح ص

وَقَد كان يَنصُرُهُم سَـــمعُـــهُ

وَقَدْ كَاْنَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُوْ

ح ح ص ح ص ح ح ص حح ص ح ص ح ص

وَيَنصُرُني قَلبـــُهُ وَالحـَســـــَب

وَيَنْصُرُنِيْ قَلْبُهُوْ وَلْحَسَبْ

ح ح ص ح ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ح ص

وَما قُلتُ لِلبَدرِ أَنتَ اللُجَينُ

وَمَاْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ لْلُجَيْنُوْ

ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ح ص ص ح ص

وَلا قُلتُ لِلشَمسِ أَنتِ الذَهـــَبْ

وَلَاْ قُلْتُ لِشَمْسِ أَنْتِ ذْذَهَبْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ح ح ص ح ص ح ص

فَيَقلَقَ مِنهُ البَــعيدُ الأَنـــاةِ

فَيَقْلَقْ مِنْهُ لْبَعِيْدُ لْأَنَاتِيْ

ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ح ص

وَيَغضَبَ مِنهُ البَطيءُ الغَضَــب

وَيَغْضَبَ مِنْهُ لْبَطِيْءُ لْغَضَبْ

ح ح ص ح ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ح ص

وَمـــا لاقَني بَلـــَدٌ بَعدَكُم

وَمَاْ لَاْقَنِيْ بَلَدُنْ بَعْدَكُمْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ح ص ح ص ح ص

ولاَ اِعتَضتُ مِن رَب ّنُعماي رَبْ

وَلَعْتَضْتُ مِنْ رَبْبِ نُعْمَاْيَ رَبْ

ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ح ص

وَمَن رَكِبَ الثَورَ بَعدَ الجَوادِ

وَمَنْ ركِبَ ثْثُوْرَ بَعْدَ لْجَوَادِيْ

ح ح ص ح ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص

أَنكَرَ أَظـــــــلافَهُوَالغَبَـــــــــبْ

أَنْكَرَ أَظْلَاْ فَهُوْ وَلْغَبَبْ

ح ص ح ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ح ص د

وَما قِستُ كُلَّ مُلوكِ البِـلادِ

وَمَاْ قِسْتُ كُلْلَ مُلُوْكِ لْبِلَادَيْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح حح ص ح ص ح ص ح ص

فَدَع ذِكر بَعضٍ بِمَن في حَـــلَبْ

فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضِنْ بِمَنْ فِيْ حَلَبْ

ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص

رقم البيت	عدد المقاطع	عدد المقاطع القصيرة		النسبة	عدد المقاطع المتوسطة		النسبة	عدد المقاطع الطويلة	النسبة
		ص ح	ح ح		ح ص ح	ح ح ص		ح ح ح ص/ ح ص ح ص	
1	12	2	0	1,64	4	6	9,28	0	0
2	11	1	0	0,82	1	5	4,92	4	3,28
3	13	3	0	2,46	4	4	6,56	2	1,64
4	13	4	0	3,28	2	6	6,56	1	0,82
5	12	3	0	2,46	4	4	6,56	1	0,82
6	13	3	1	2,46	4	4	6,56	1	0,82
7	12	3	1	2,46	1	3	3,28	4	3,28

8	12	3	0	2,46	3	4	5,74	2	1,64
9	12	2	1	1,64	3	4	5,74	2	1,64
10	12	1	0	0,82	4	5	7,38	2	1,64
مجموع	122	28		20,50	75		36,89	19	15,57

يتكون النموذج المدروس من (122) مقطعًا موزعة على عشرة أبيات، منها (75)مقطعًا متوسطًا، ونسبتها حوالي (36.89 %)، وتنقسم هذه المقاطع المتوسطة إلى (45) مقطعا مغلقًا، و(30) مقطعا مفتوحًا. أما عدد المقاطع القصيرة فيه، فهو(28) مقطعًا، ونسبته حوالي (20.50%). وتدلّ كثرة المقاطع –ما بين قصيرة ومتوسطة–في هذه القصيدة على نفسية الشاعر الهادئة الوادعة؛ لأنه من المعلوم أن غرض المدح لا تنفعل له النفوس وتضطرب له القلوب؛ وهذا ما يدلُّ على أن الشاعر كان يتمّتع بالهدوء والاستقرار لحظة نظم القصيدة، وكان مفعم الإحساس في مديحه لسيف الدولة، ومملوءًا بالحيوية والحركة لحظة وصفه للمعركة.

ونلاحظ أن انتشار المقاطع المتوسطة المفتوحة وعددها (45) مقطعًا، وهي مقاطع قوية، لأنها تتكون من صامت وحركة طويلة، وذلك ناتج عن إدراك لقوة الوضوح السمعي لهذه الحركة الطويلة، فهي شديدة الصوت، يعطي دلالة على القوة والغلبة، وهذا النوع من المقاطع، يستغرق نطقه بحركته الطويلة زمنًا أطول، من الذي يستغرقه المقطع القصير، والمقطع المتوسط المغلق، لهذا، فهي تعطي دلالة على الاستمرار في الحدث، وعدم التوقف، وفي هذه الزيادة في الزمن أيضا زيادة التأكيد على استمرار سيف الدولة في القتال، وهزيمة الأعداء.

ثم إن النسبة المعتبرة للمقاطع المتوسطة المغلقة، وعددها (30) مقطعًا، بانغلاق النفس معها، تعطي دلالة بالحتمية والوجوب، أي حتمية تحقيق سيف الدولة للّنصر في هذه المعركة، والقضاء على أعدائه.

ثم إن الشاعر قد التزم نسبياً بعدد المقاطع في البيت الواحد، فبلغ عدد المقاطع في كل بيت من الأبيات المدروسة ما معدله (12) مقطعًا، مما يعكس حالة الثبات والاستقرار النفسي عند الشاعر في أثناء نظمه للقصيدة. ويدل على أنه قد انتهج نهجا واحدا في استخدامه للمقاطع الصوتية، بما يتناسب والأغراض المعنوية التي دّلت عليها الأبيات، والإيقاع الموسيقي لها.

المبحث الثاني: دلالة النحو والصرف في قصيدة " فهمت الكتاب أبر الكتب"

1) الظواهر النحوية:

أ. الحذف:

تحت عنوان (القول في الحذف) يقول عبد القاهر الجرجاني: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنَّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ".[1]

يُراد به في النحو إسقاط كلمة من بناء الجملة، وقد تكون هذه الكلمة ركنًا من أركانها، كالمبتدأ أو الخبر أو الفعل أو الفاعل، وقد تكون حرفًا، وقد تُحذف الجملة.

أ. الحذف الجائز:

لغرضٍ، مع سماح النظام تعمُّد إسقاط عنصر (إسناديٍّ أو غيره) من عناصر بناء النصِّ النحويِّ بذكره، ومع دلالة باقي عناصر النصِّ عليه، وإمكان ذكر هذا العنصر في مقام آخر ولغرض آخر.

ب. الحذف الواجب:

إسقاط عنصرٍ إسناديٍّ من نصٍّ لا يسمح النظام النحويُّ بذكره فيه، مع دلالة الأصل التركيبيِّ للنصِّ عليه، وامتناع ذكره في كلِّ الأحوال.

[1] الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان: تح محمد محمود شاك، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص89.

1أ. قيمة الحذف ومزاياه:

يرتبط الحذف ارتباطًا وثيقًا بمعنى القول ودلالته وقدرته على التأثير؛ فهو وسيلة للإيجاز الَّذي هو أحد مقاصد العربيَّة، والحذف في مقامه يهذِّب الجمل، ويزيد نصيبها من البلاغة والرونق، ويقوِّي قدرتها على إيصال المعنى المراد.

إذا نظرنا في كتاب سيبويه وجدناه ينصُّ في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب أدخلها البحث الحديث في فنِّ البلاغة، كالتخفيف والإيجاز والسعة، ويبيِّن أنَّ العرب قد جرت عادتها على الحذف، وحبَّذتْه في غير موضع.

يقول سيبويه: " واعلم أنَّهم ممَّا يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الَّذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتى يصير ساقطًا ... وما حُذِف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير".

1ب. شروط الحذف:

يرتكز الحذف على أمرين؛

أحدهما: قابليَّة المقام، وهو أن يكون السامع عارفًا به لوجود القرائن.

والثاني: الداعي الموجب لرجحان الحذف على الذكر.

وقد اهتمَّ النحاة وعلماء البلاغة بدراسة دواعي الحذف واستنباط القرائن الدالَّة على المحذوف وقد أجمل ابن هشام الشروط الَّتي لا يجوز الحذف بغيرها فذكر ثمانية شروط.

-**الشرط الأول:** وجود دليل للحذف، ويُفتقَرُ إلى هذا الدليل إذا كان المحذوف

جملة بأسرها ، كقولك : زيدًا ، لمن سأل : مَن أضرب ·

أو أحد ركنيها، كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾[1]، أي سلامٌ عليكم أنتم قومٌ منكرون، فحذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية.

أو لفظًا يفيد معنىً فيها هي مبنيَّة عليه، كما في قوله تعالى﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ ﴾[2]، أي: لا تفتأ.

أمَّا إذا كان المحذوف فضلة فلا يشترط لحذفه وجدان الدليل، ولكن يُشترط ألا يضرَّ حذفه بالمعنى ولا بالصناعة النحويَّة.

-**الشرط الثاني:** ألاَّ يكون ما يحذف كالجزء، فلا يُحذف الفاعل ولا نائبه ولا مشبهه.

(اسم كان أو إحدى أخواتها) .

-**الشرط الثالث:** ألاَّ يكون مؤكَّدًا، فلا يصحّ: الَّذي رأيت نفسه زيد؛ لما يُوقع فيه ذلك من التناقض، فالتوكيد إسهاب والحذف إيجاز، ولا يجتمعان.

-**الشرط الرابع:** ألاَّ يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله؛ لأنَّه اختصار للفعل.

-**الشرط الخامس:** ألاَّ يكون المحذوف عاملاً ضعيفًا، فلا يحذف الجارُّ والجازم والناصب للفعل إلا في مواضع قويت فيها الدلالة على المحذوف وكثر فيها الاستعمال، ولا يُقاس عليها.

-**الشرط السادس:** ألاَّ يكون المحذوف عوضًا عن شيء.

-**الشرط السابع:** ألاَّ يؤدِّي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه.

[1] سورة الذاريات، آية 25.

[2] سورة يوسف، آية 85.

-**الشرط الأخير:** ألاَّ يؤدِّي الحذف إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ.

ب.التقديم والتأخير:

2أ. مفهوم التقديم والتأخير:

يراد بالتقديم والتأخير أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصليّ في السياق فيتقدَّم ما الأصل فيه أن يتأخَّر ويتأخَّر ما الأصل فيه أن يتقدَّم.

وقد امتدح النحاة العرب هذه الظاهرة، ومن هؤلاء عبد القاهر الجرجاني الذي يقول عن التقديم والتأخير:

" هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلمكان."[1]

وللتقديم والتأخير علَّة هي الرتبة، فالرتبة مبدأٌ نحويٌّ لولاه لم يكن ثَمَّ تقديمٌ ولا تأخير، فما الرتبة؟ وما أنواعها؟

الرتبة قرينةٌ نحويَّةٌ من قرائن المعنى، يمكن تعريفها بأنَّها جزءٌ من النظام النحويِّ يحدِّد موقع الكلمة من بناء الجملة، ويفرض لكلمتين بينهما ارتباط أن تأتي إحداهما أوَّلاً والأخرى ثانيًا، ويمتنع العكس إذا كانت الرتبة محفوظة، أمَّا إذا كانت الرتبة غير محفوظة فيجوز أن تتقدَّم إحدى الكلمتين في تعبيرٍ وتتأخَّر في تعبيرٍ آخر من غير اتِّصاف أحد التعبيرين بالخطأ النحويِّ

[1] الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص33.

ويُوصَف العنصر المتقدِّم في الرتبة المحفوظة بأنَّه متقدِّم وجوبًا – ومن ذلك تقدُّم الموصول على الصلة ، والموصوف على الصفة ، وحرف الجرِّ على المجرور ، وغيرها– أمَّا في الرتبة غير المحفوظة – كالَّتي بين المبتدأ والخبر ، والفاعل والمفعول به ، والضمير والمرجع ، وغير ذلك فالتقديم والتأخير اختيارٌ أسلوبيٌّ جائزٌ للمتكلِّم بحسب ما يعبِّر عن غرضه ويُفهِم معناه المقصود.

فالتقديم والتأخير نوعٌ من التصرُّف في التركيب والعدول عن أصل ترتيب عناصره لغاية بيانيَّة معنويَّة، وهذا التصرُّف لا يكون اعتباطًا لغير علَّة وإلاَّ كان جورًا على التركيب ومعناه وإفسادًا للكلام بأسره.

حاصل القول في ظاهرة التقديم والتأخير (الجائز) أنَّها تفتقر إلى أمور:

الأوَّل: تحديد الأصل في ترتيب عناصر التركيب

الثاني: تحديد العدول عن الأصل في هذا الترتيب

الآخر: البحث عن علَّة هذا العدول وتأثيره في المعنى والدلالة

2ب. أغراض التقديم:

للتقديم أغراض متعدِّدة متنوِّعة ، يتعيَّن أحدها بحسب العنصر المقدَّم ، وبحسب المقامات والأحوال ، إلاَّ أنَّ الغرض الأوَّل من تقديم عنصرٍ ما هو كون ذكره أهمّ من ذكر باقي أجزاء الكلام ، والعناية به أكثر من العناية بذكر غيره ، وهو ما عبَّر عنه سيبويه بقوله في الفاعل والمفعول : "[1] ... يقدِّمون الَّذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعًا يُهِمَّانهم ويعنيانهم " ، وجعله الإمام عبد القاهر قاعدةً للتقديم بقوله : " ... لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا

[1] سيبويه: تح عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص 350،

يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام "[1] ، إلاَّ أنَّه أكَّد أنَّ الاقتصار على العناية والاهتمام لا يكفي لبيان سبب تقديم لفظٍ ما ، بل يجب أن يُفسَّر وجه العناية فيه وسبب أهمِّيَّته الَّتي جعلته يتقدَّم في حين تأخَّر غيره.

وما دام القول بالعناية وحدها لا يكفي فقد ذكر العلماء من الأغراض ما يُعدُّ وجوهًا لهذه العناية؛ ففيها تفسيرٌ لها وتعليل، وليس فيها حجرٌ على غيرها من الأغراض؛ فلكلِّ سياقٍ خواصُّه، ولكلِّ تقديمٍ أسراره. ونذكر من بين الأغراض: التخصيص، التنبيه، التفاؤل أو التشاؤم، تحقيق الأمر وإزالة الشك، الخ ...

ظاهرة التقديم والتأخير – شأن الظواهر السياقيَّة الأخرى كالحذف والزيادة وغيرها – مظهرٌ من مظاهر شجاعة العربيَّة؛ ففيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادًا على قرائن أخرى، ووصولاً بالعبارة إلى دلالاتٍ وفوائد تجعلها عبارةً راقيةً ذات رونقٍ وجمال.

2) <u>الظواهر الصرفية:</u>

هي المعاني المستفادة من الأوزان والصيغ.

تنبه علماء العرب لهذه الدلالة، ففطنوا إلى أن ما تؤديه صيغة يمكن أن يختلف عما تؤديه صيغة أخرى، وذلك مثل صيغة (أفعل) فإنها تؤدي معاني لا تؤديها صيغة (فَعَّل).

وكذلك أيضًا صيغة (فَاعِل) هي اسم فاعل، والتي يمكن أن تكون فعلاً مزيداً = (فَاعَل) ولكل صيغة منهما معنى تؤديه.

[1] الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص74.

قال أبو عبيد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه سأل رجلاً أراد الجهاد معه، فقال له: هل في أهلك من كَاهِل؟ ويقال: مَن كَاهَلَ، فقال: نعم). [1]

في هذا الحديث الشريف روايتان: إحداهما: (كَاهِل) على وزن (فَاعِل) في معنى كهل، والثانية: (كَاهَل) على وزن (فَاعَل) في معنى اكتهل، أي: أسن وصار كهلا؛ إن اختلاف الدلالة هاهنا إنما أتى من هاتين الصيغتين المختلفتين.

ونتطرّق فيما يلي بشيء من الاختصار إلى معاني بعض الصيغ الصرفية المتداولة:

أ. مَعاني أَوْزَان المزيد:

يُزاد في الفعل الثُّلاثي والرُّباعي أَحرف ليُؤَدِّي معانِيَ أخرى إلى جانب معناه العام؛

أَفْعَلَ: التَّعْدِيَةُ –فَعَّلَ: التَّكْثِيرُ والتَّعْدِيَةُ –فَاعَلَ: المُشَارَكَةُ –اِنْفَعَلَ

واِفْتَعَلَ وتَفَعَّلَ: المُطَاوَعَةُ –اِفْعَلَّ: قُوَّة الألوان والعُيُوب –**تَفَاعَلَ:** المُشَارَكَةُ –**اِسْتَفْعَلَ:** الطَّلَبُ –**اِفْعَوْعَلَ واِفْعَالَّ واِفْعَوَّلَ:** المُبالغة في أصل الفعل

ب.بعض معاني مزيد الرُّباعي:

.**تَفَعْلَلَ:** مُطَاوَعَةُ فَعْلَلَ–**اِفْعَلَلَّ:** المُبالغة–**اِفْعَنْلَلَ:** مُطَاوَعَةُ فَعْلَلَ

* ملاحظة:

*التَّعْدِيَةُ: جَعْلُ الفعل اللازم مُتعدِّيا.

*التَّكْثِيرُ: الإكثار من الفعل.

[1] نور الدين علي بن أبى بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج1، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، ص (5/ 610).

*المُشَارَكَةُ: مُشاركة الفاعل والمفعول به في الفعل.

*المُطَاوَعَةُ: قُبُول تأثير الغير.

*الطَّلَبُ: السُّؤال وطلب حصول الفعل.

*المُبالغةُ: الزِّيادة في الفعل.

* قوَّة الألوان: يُصبح اللّون واضحا، مثل: اِصْفَارَّ، أي أصبح شديد الصُّفْرَةِ.

والواضح أن للصيغ الصرفية دلالات لم يغفل عنها علماء العربية، وهذه الدلالات لها أثر كبير في إثراء اللغة وغناها.

ج. التعجب:

وللتعجب صيغتان قياسيتان هما:

أولا: ما أفعله: نحور ما أحسن زيدا.

ثانيا: أفعل به نحو: أحسن بزيد.

د. التفضيل:

هو اسم مشتق مصوغ للدلالة على إن شيئين اشتركا في صفة وزاد احداهما على الاخر فيها. وهو يصاغ قياسا على "أفعل" للمذكر ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل وعلى وزن "فعلى" للمؤنث. وقد تحذف همزتها لكثرة الاستعمال كقولة تعالى" أولئك هم شر البرية" أي أشر وتصاغ أفعل التفضيل من مصدر الفعل الذي تصاغ منه "أفعل التعجب ويمتنع مما تمتنع منه وهي لا تصاغ من الالوان.

وتأتي "أفعل التفضيل" على ثلاث حالات:

1. مجرده من آل والإضافة «ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا".
2. أن تكون بآل مثل/ محمد الأفضل وهند الفضلى.
3. أن تكون مضافة كالزيدان أفضل الرجلين. أو أفضل رجال وهند أفضل امرأة.

ثانياً: الدراسة التطبيقية للظواهر النحوية والصرفية في أجزاء من القصيدة "فهمت الكتاب":

1. الظواهر النحوية:

أ. **الحذف:** اعتمدنا على مجموعة من الأبيات، كانت فيها ظاهرة الحذف بارزة وهي:

1. **وتَكثيرِ قَومٍ وتَقليلِـــــهم وتَقريبِهم بيننا والخـــــببْ**
2. **ولو كنتُ سَمَّيتُهم باسـمِهِ لكان الحديدُ وكانوا الخَشـبْ**
3. **أَتَاهُم بأَوسعَ من أرضــهم طوال السَّبيبِ قِصارَ العُسُبْ**
4. **تَغيبُ الشواهقُ في جيشهِ وتبدُو صِغارًا إذا لم تَغِـــبْ**
5. **فَأَخْبِثْ به طالبًا قَهــرهُم وأخبِثْ به تاركًا ما طَلَـــبْ**
6. **وليتَ شَكَاتكَ في جسمِـهِ وليتَكَ تَجْزي بِبُغضٍ وحــبْ**

البيت	العنصر المحذوف	تقديره	القرينة
01	فعل	**عاقني**	تصديره في البيت السابق، العطف
02	مفعول به	**سيوفا**	اسم الممدوح
03	اسم مجرور	**جيوش**	المقام
04	ظرف	**خلاله**	السياق
05	فاعل	**الدمسق**	الهاء
06	مفعول به	**بغضاً**	السياق
06	مفعول به	**حبًّا**	السياق

فقوله " وتكثير قوم وتقليلهم «، في البيت الأول علاوة على أنّه معطوف على " خوف الوشاة " والذي هو فاعل ل "عاقني" المحذوف، له فائدة متعلقة بتأكيد المعنى طالما هو مرتبط بفعل ورد في بيت سابق، وما الواو هنا إلا لتثبيت هذا الرباط، ويتدعّم المعنى بالعنصر الموالي على نفس النسق: "وتقريبهم بيننا والخبب".

وحُذف مفعول" سمّيتهم"، كونه جليّ ومعروف لدى العامّة ولو لم يُذكر، ناهيك عن إغفال ذكر اسم " سيف الدولة " إجلالاً له وتشريفاً له بأن لا يُذكر مع الملوك لأنّه أعلى منزلةً وشأناً.

في البيت الثالث، حُذفت كلمة " جيوش " التي تأتي وراء الجارّ " الباء "، ويدلّ عليها عجُز البيت الذي يتكلّم عن صفات الخيول المُكوّنة لتلك الجيوش.

في البيت الرابع، نجد ظرف المكان " خلاله " المقدّر بعد لفظ " صغاراً " قد حُذِف، لدلالة السياق؛ فالجبال على عُلوّها تختفي حين تغشاها جيوش الروم، وتبدو أصغر ما يكون متى ما أحاطت بها.

والفاعل المحذوف من صيغة التعجّب " أخبث به "، وذكر متعلقه " الهاء "، إنّما يُستدلّ به على أنّ الواقعة معروفة وأن الدمستق ملك الروم، وقد انهزم ولاذ بالفرار، لحريّ بالشاعر ألا يذكره، وهنالك من يستحقّ الذكر أكثر منه.

في البيت السادس والأخير، وكأن الشاعر يعاتب سيف الدولة، ويتمنّى عليه تعريضاً أن يجزي حبّه له بالودّ، ويتفطّن لمن يكنّون له البغضاء فيجزيهم بالمثل؛ فيحذف كلمتي " بغضاً " و " حبّاً "، لإطلاق معنى الجزاء.

هذا ولا نستبعد بحالٍ من الأحوال ما يتطلّبه الإيقاع الشعري للقصيدة، فالحذف يأتي لخدمة المعنى ولا يتنافى مع الوزن الشعري.

ب. **التقديم والتأخير:** سوف نركّز على مجموعة من الأبيات، كانت فيها ظاهرتا التقديم والتأخير بارزتين وهي:

1. **أَخو الحربِ يُخْدِمُ مِمّا سَبَى قنَاهُ ويَخْلعُ مِمّا سَلَـــبْ**
2. **إذا حَازَ مالاً فَقَد حَـــــازَهُ فَتًى لا يُسَرُّ بما لا يَهَـبْ**
3. **وأَطْعَنَ من مَـــسَّ خَطِّيَّةً وأَضْرَبَ من بِحُسامٍ ضَرَبْ**
4. **وكانوا لَهُ الفخْـــرَ لمّا أَتى وكُنتَ لَهُ العُذْرَ لمّا ذهَـبْ**
5. **سَبَقتَ إليهِم منـــايـــاهُم ومَنفَعَةُ الغَوْثِ قبل العَطَبْ**

البيت	العنصر	موضعه	ترتيبه الأصلي
01	أخو	**مقدم عن الفعل**	بعد الفعل
02	الهاء في " حازهُ "	**مقدم عن الفاعل**	بعد الفاعل
03	ضَرَبْ	**مؤخّر عن الجار والمجرور**	قبل شبه الجملة.
04	الفَخرَ	**مؤخّر عن الجار والمجرور**	قبل شبه الجملة.
04	العُذْرَ	**مؤخّر عن الجار والمجرور**	قبل شبه الجملة.
05	مناياهم	**مؤخّر عن الجار والمجرور**	قبل شبه الجملة.

2. الظواهر الصرفية:

أ. معاني أوزان الأفعال في القصيدة:

***الثلاثي:**

الفعل	الوزن	المعنى المؤدّى
فهم	فعل	التحقيق
عاق	فعل	التحقيق
قصّر (قصر)	فعلل	الإكثار من الفعل
نصر	فعل	التحقيق
قال	فعل	التحقيق
غضب	فعل	التحقيق
ركب	فعل	التحقيق

***الرباعي:**

الفعل	الوزن	المعنى المؤدّى
فارق	فاعل	المشاركة
أثنى	أفعل	التعدية
نادى	فاعل	المشاركة
قاتل	فاعل	المشاركة

ب.معاني صيغ التعجب:

فأخبث به طالبا قهرهم وأخبث به تاركا ما طلب

ج. معاني صيغ التفضيل:

الصيغة	المعنى
أبرّ	الزيادة والإكثار
أغرّ	الزيادة والإكثار
أبعد	الزيادة والإكثار
أعرف	الزيادة والإكثار
أطعن	الزيادة والإكثار
أضرب	الزيادة والإكثار

المبحث الثالث: الدراسة المعجمية لقصيدة " فهت الكتاب" للمتنبى:

1. نمو اللغة:

إذا كانت العلة التي من أجلها وُجدت اللغة هي أداءَ الفهم المتبادل بين المتخاطبين بها، فإن هذه الغاية تلزمها أن تتموضع في جميع مسالكها لتحقيق تكامل الدلالة؛ ولهذا وجب أن يوضع لكل لفظ معنًى يعبر عنه؛ لتتألف لدينا مفردات تعتبر مرتكزات أو وحدات لغوية، تكون هي أساس نشأة اللغة، وهي أيضًا الأكثر تعبيرًا عن ملائمة حاجات الإنسان، التي يحاول التعبير عنها للطرف الآخر، وبما أن عامل الزمن له أثره، والتطور الحضاري، ودخول المستجدات على عالمه يدعو الإنسان إلى البحث عن كيفيات في اللغة تُعِينه على التعبير عن هذه الأشياء بصورة كاملة وواضحة –احتاج إلى الزيادة على أصول مفردات النشأة اللغوية، فدأب على وضع وسائل لذلك، فكان الاشتقاق، والتركيب، والترادف، والمشترك وغيرها.

1أ. الاشتقاق في اللغة العربية

ويعتبر الاشتقاق مِن أشرف العلوم العربية وأدقِّها، وعليها مدار علم التصريف في معرفة الأصلي والزائد، والأفعال والأسماء.

1. تعريف الاشتقاق:

أ. **لغة:**

قال ابن فارس في معجمه: شق: الشين والقاف أصل واحد صحيح، يدلُّ على انصداع في الشيء، ثم يحمل عليه، ويشتق منه على معنى الاستعارة، تقول: شققت الشيء أشقه شقًّا، إذا صدعته، وبيده شقوق، وبالدابَّة شقاق، والأصل واحد. [1]

ب. **اصطلاحًا:**

عرَّف الجرجاني الاشتقاق: "بأنه نزع لفظٍ مِن آخرَ، بشرط مناسبتهما معنًى وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة".[2]

---

[1] أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة، ج2، د ط، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1879، مادة شق.

[2] عبد القاهر الجرجاني: التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص 18.

وأما في البحر المحيط فهو افتعال من الشق، بمعنى الاقتطاع، من انشقت العصا إذا تفرَّقت أجزاؤها؛ فإن معنى المادةَ الواحدة تتوزع على ألفاظٍ كثيرة مقتطعة منها، أو من شققت الثوب والخشبة، فيكون كل جزء منها مناسبًا لصاحبه في المادة والصورة، وهو يقع باعتبار حالين:

أحدهما: أن ترى لفظين اشتركَا في الحروف الأصلية والمعنى، وتريد أن تعلم أيهما أصل أو فرع.

والثانية: أن ترى لفظًا قضَتِ القواعد بأن مثله أصل، وتريد أن تبني منه لفظًا آخر[1].

جاء في كتاب (الصاحبي): أن أهل اللغة أجمعوا – إلا من شذ عنهم – أن للغة العرب قياسًا، وأن العربَ تشتقُّ بعضَ الكلام من بعض. وأن اسمَ الجِن مشتق من اسم الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبدًا على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة، وأجنّه الليل، وهذا جنين؛ أي: هو في بطن أمِّه، أو مقبور، وأن الإنسَ مِن الظهور، يقولون: آنست الشيء: أبصرته.[2]

وهو أيضًا عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من أخرى، بحيث تظلُّ الفروعُ المولدة متصلة بالأصل.

2. أنواع الاشتقاق:

جاء في البحر المحيط: أن أقسامَه ثلاثة، وهي: "أصغر وأكبر وأوسط؛ فالأصغر ما كانت الحروف الأصلية فيه مستوية في التركيب؛ نحو: ضرب يضرب فهو ضارب ومضروب، والأكبر ما كانت الحروف فيه غيرَ مرتبة؛ كالتراكيب الستة في كل من جهة دلالتها على القوة، فترد مادة اللفظين فصاعدًا إلى معنًى واحد... وأما الأوسط: فهو أن تتفقَ أكثرُ حروف الكلمة؛ كفَلَق وفَلَح وفَلَد يدل على الشق" [3]

أما العلماءُ فقسموا الاشتقاقَ إلى أربعة أقسام، وهي:

---

[1] الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، راجعه سليمان الأشقر، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالكويت 1992م، ص2/ 71.

[2] أحمد بن فارس: الصاحبي في الفقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق أحمد حسن بسيج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 36.

[3] الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، راجعه سليمان الأشقر، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالكويت 1992م، ص5.

أولًا: الاشتقاق الأصغر:

هو انتزاع كلمة من كلمة أخرى مع تغيير في الصيغة، مع تشابهٍ بينهما في المعنى، والاتفاق في الحروف الأصلية، وفي ترتيبها، وهذا النوعُ مِن الاشتقاق هو الذي يتبادر إلى الذهن؛ "لأنه الأوسعُ دائرةً، والأكثر نتاجًا، وإلا فإن في لغة العرب وسائلَ أخرى لنموها وتكاثر كلماتها، هي مِن قَبيل الاشتقاق الصغير المذكور، إلا أنها تجري على نمط آخر، وتتحرك في دائرة أضيق، وأريد بها (القلب) و(الإبدال) و(النحت)"[1].

وعلى هذا يقوم أكبر قسم من اللغة، وهو المسمى بالمشتقات: (أفعال الماضي والمضارع والأمر، واسم الفاعل واسم المفعول، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة).

ثانيًا: الاشتقاق الكبير:

هو أن يكون بين الكلمتين اتفاق في حروف المادة الأصلية من دون ترتيبها وتناسب في المعنى، وهو الذي سماه ابن جني (الأكبر):

وهو أن نأخذ أصلًا مِن الأصول الثلاثة فنعقدَ عليه وعلى تقاليبه الستة معنًى واحد، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وذكر مثال ذلك: (ك. ل. م) (ك. م. ل) (م. ك. ل) (م. ل. ك) (ل. ك. م) (ل. م. ك).

وجميع هذه التراكيب تدل على القوة والشدة.

ولقد وضَّح الإمامُ السيوطي؛ حيث قال: "وهذا الاشتقاق ليس معتمدًا في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاقٌ في لغة العرب" [2]

ثالثًا: الاشتقاق الأكبر:

هو أن يكون بين الكلمتين تناسبٌ في المعنى، واتفاق في بعض حروف المادة الأصلية وترتيبها، سواء أكانت الحروف المتغايرة متناسبةً في المخرج الصوتي أم لم تكن؛ مثل: صرير وصريف، وخرب وخرق، وهديل وهدير.

ويسمى هذا النوع من الاشتقاق بالإبدال، وسيأتي شرحه.

---

[1] عبد القادر المصطفى المغربي: الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، بمصر، 1908م، ص15.

[2] جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق مولى بك وفضل إبراهيم والبجاوي، د ط، المكتبة العصرية، 1968م.ص16.

رابعًا: الاشتقاق الكُبَّار:

وهو معروفٌ عند اللغويين بالنحت، وهو أخذُ كلمة من بعض حروف كلمتين أو كلمات أو من جملة، مع تناسُبِ المنحوتة والمنحوت منها في اللفظ والمعنى، وقد استعملته العرب لاختصار حكاية المركَّبات، فقالوا: بَسْمَلَ وسَبْحَلَ وحَيْعَلَ: إذا قال: بسم الله، وسبحان الله، وحي على الفلاح، ومن المركَّب العَلَمُ المضاف، وهم إذا نسبوا إليه نسبوا إلى الأول، وربما اشتقوا النسبة منهما، فقالوا: عَبْشَميّ وعَبْقَسيّ ومَرْقَسيّ في النسبة إلى عبد شمس، وعبد القيس، وامرئ القيس في كندة، وهو قليلُ الاستعمال في العربية. وسيأتي شرحه.

1ب. الإبدال في اللغة العربية:

ملاحظ في حركة الأصوات على ألسنة الناطقين بها، أنّها تنزع في صيرورتها نحو التغيّر وعدم الاستقرار، وذلك بحثاً عن أيسرها نطقا، وأقلّها جهداً.

فحين ينطق المرء مثلا بأصوات لغته نطقاً طبيعيّاً لا تكلّف فيه، نسجّل أنّ أصوات الكلمة الواحدة لا تثبت على حال، فهي كثيرة التغيّر والتنقّل، كما أنّها قد تغيّر قليلا من مخرجها، فتنتقل من نقطة إلى أخرى في مجراها الصوتي، كما قد تغيّر واحدة أو أكثر من صفاتها التي كانت لها.

"فنجد أصوات الكلمة الواحدة تتغيّر، ليحلّ صوت مكان آخر مع إبقاء الأصوات الأخرى، دون أن يؤدي ذلك إلى تغيّر في المعنى، مثل قولهم:" أيا وهيا، إياك وهياك، آذيته وأعديته،"[1]

أ. الإبدال بين الصوامت:

أدرك اللغويون القدامى منذ وقت مبكر إمكانَ وقوع الإبدال، يقول أبو الحسن بن الصائغ (ت 312هـ):" قلّما تجد حرفاً، إلاّ وقد تجد فيه البدل إلا نادراً"[2] وراحوا يتلمّسون تماثل المعنى بين الصورتين المبدلة والمبدل منها، بسرد شواهد تبرز ذلك، إلا أنّهم اختلفوا في نظرتهم إلى

[1] جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد جادي المولى وآخرون، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار الجيل –بيروت–لبنان، 2 /276.

[2] كمال ربحي: الإبدال في ضوء اللغات السامية، جامعة بيروت العربية، 1980م، ص 102.

هذه الظاهرة. فهناك من انطلق مؤكّداً أنّ إقامة صوت مكان آخر، مع بقاء سائر الأصوات على حالها، هي سُنُّة درج عليها العرب، ولهم متى شاءوا أن يبدلوا صوتاً بآخر، على حدّ قول ابن فارس (ت 395 هـ)"من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض."[1]

وخلافاً لذلك، يرى أبو العبّاس المبرّد (ت 291 هـ)، أنّ تقارب مخارج الأصوات هو الذي يؤدي إلى هذا الإبدال، وذلك حين أورد قول النعمان بن المنذر لخجل بن نصلة: "أردتَ أنتُذِيمَهُ فَمَدَهْتَهُ" قال أبو العبّاس: وقوله(فمدهته) يريد (مدحته) فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج...والعرب تقول: جَلَحَ الرجل يجلح جلحاً، وجَلَهَ يَجْلَهُ جَلْهاً بمعنى واحد."[2]

وهناك من عزا كثيراً من صور الإبدال إلى اختلاف اللهجات، كابن السكيت (ت 244هـ) على أنّه قد يحصل الإبدال ويقول به أبناء بيئة واحدة.

المحدثون أيضاً عرضوا لهذه الظاهرة اللغوية، وكانت آراؤهم متقاربة إلى حدّ ما، ولعلّ من الأوائل نذكر أحمد فارس الشدياق (1804–1888) صاحب المعجم الضخم "سرّ الليالي في القلب والإبدال" الذي تَحَدّث في مقدّمته عن أكثر الألفاظ التي يعتريها الإبدال" أنّها تكون في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشقّ والفرق والتبديد، لأنّها كلّها من جنس واحد، وجلّها مأخوذة من حكاية صوت نحو: قَتَّ وقَدَّ وقَضَّ، قَطَّ وجَدَّ، جَثَّ وجَذَّ وجَزَ..." [3] كما أنّه يرى أنّ المضعّف من الأفعال هو الأصل، ثم يضاف إليه حرف ثالث لتخصيص فكرة القطع واتّصالها بنوع "المقطوع"، وعلى هذا الأساس تتمّ عملية الإبدال.[4]

ومن المحدثين أيضًا صادق الرافعي (1880–1937)، فقد ذهب إلى إمكان وقوع الإبدال بين الصوتين ويكون إمّا في لغة القبيلة الواحدة، أو يكون في لغتين لقبيلتين مفترقتين."[5]

---

[1] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق محمد الشويمي، بيروت 1964 د ط. ص 173.

[2] المبرد: الكامل في اللغة والأدب، د ط، مكتبة المعارف، بيروت، د ت، ص97/2.

[3] الشدياق أحمد فارس: سر الليالي في القلب والإبدال، مطبعة العامرة السلطانية بالأستانة، 1284م، ص 5.

[4] د. ربحي كمال: ينظر الإبدال في ضوء اللغات السامية، ص 104. والتطور اللغوي التاريخي: د. السامرائي إبراهيم ص ص115.

[5] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج1، ط4، دار ال كتاب العربي، بيروت، 1974، ص146.

أما إبراهيم السّامرائي، فهو يرى أنّ: " العربية قد اشتملت على لغات عدّة هي لغات القبائل المختلفة، وطبيعي أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة، وعلى هذا فإن كثيراً ممّا حُمِّل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات."[1]

ب. <u>الإبدال بين الصوائت (الحركات):</u>

وما قيل عن الإبدال الذي يحدث بين الصوامت، يقال كذلك عن الإبدال بين الصوائت كون التبدّلات التي تصيب هذا النوع من الأصوات، مردّها الأوّل أيضا إلى اختلاف اللهجات، وما نقلته المصادر القديمة يؤكّد ذلك، نحو ما ذكره ابن فارس (395هـ) في صاحبه في "باب القول في اختلاف لغات العرب" فهو يقول: "واختلاف لغات العرب من وجوه أحدهما، الاختلاف في الحركات كقولنا: "نَستعين ونِستعين" بفتح النون وكسرها، قال الفرّاء هي مفتوحة في لغة قريش وأسد، وغيرهم يقولونها بالكسرة."[2]

فالمعروف أنّ حرف المضارعة يحرّك بالفتحة، إلاّ إذا كان الماضي رباعياً فإنّه يضمّ، لكن بعض القبائل كانت تجنح إلى تحريك حرف المضارعة بالكسرة دائما.

ومن الشواهد أيضا التي تؤكد أنّ القدامى تناولوا ظاهرة الإبدال بين الصوائت، وحصروا أسبابها في اختلاف اللهجات؛ كإبدال ضمّة الهاء في ضمير الغائب المتّصل في المفرد والمثنّى والجمع كسرة، وإن كان هذا الإبدال قد شاع مع ضمير الجمع بشكل مطلق، وعُزِي إلى بني كلب، فهم يقولون: "منهِم وعنهِم في منهُم وعنهُم"[3]، لأنّ الحركة الأصلية لهذا الضمير هي الضمّ. وينسبها سيبويه (تـ 180هـ) إلى ربيعة، فهو يقول:" إنّ قوماً من ربيعة يقولون "مِنهِم" أتبعوها الكسرة...وهي لغة رديئة."[4] وكانوا يسمّون هذه الظاهرة "الوهم." وهنالك ظواهر أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

---

[1] السامرائي إبراهيم: التطور اللغوي التاريخي، ط2، دار الأندلس، 1981م، ص 115.

[2] ابن فارس: الصاحبي، ص50.

[3] المبرد: المقتضب، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عظيمه، د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1388هـ-1963م. 37/1 و38. وينظر: السيوطي: 1/ 222.

[4] سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، د. ط، دار الجيل، بيروت، 1411هـ-1991م، ص 136/4 و197/4.

والملاحظ أن ظاهرة الإبدال التي تبدو واضحة في العربية الموحّدة، قد امتدّت إلى المصوّتات الطوال (الألف والواو والياء) في حالة المدّ الخالص ونصف المدّ، فهناك إبدال بين الواو والياء نحو قولهم: حَكَوْت وحَكَيْت، حَثَوْتُ التراب حَثْواً وحَثَيْتُه حَثْياً، فهو مَحْثِيٌّ ومَحْثُوٌّ."[1]

وهناك إبدال بين الألف والواو نحو:" أجاد في كلامه وأَجْوَدَ، أَحَاش على الصيد إحاشة وأحوشه إحواشا؛ أي حاشه."[2]

وقف المحدثون عند ظاهرة الإبدال بين الصوائت، ووجدوا أنّ اللهجات العربية اختلفت في تردّد هذه المصوّتات فيما بينها، فما كان بالضمّ في لغة، قد يكون بالكسر أو الفتح في لغة أخرى، أو ما كان بالضمّ في لغة يأتي بالكسر أو الفتح في لغة أخرى، أو ما كان بالضمّ في لهجة يَرِدُ مفتوحًا أو مكسوراً في لهجة أخرى.

فمن المؤكّد أنّ كثرة صور إبدال المصوتات، إنّما نشأ من جرّاء دخول مستويات اللهجات العربية القديمة في العربية الموحّدة، غير أن مردّ كثرة هذا الإبدال أُخْتلِف فيه، فردّه البعض إلى عامل البيئة، أي أنّ الصيغة المشتملة على الضمّ، تنتمي على بيئة بدوية، وأنّ المشتملة على الكسر، تنتمي إلى بيئة حضرية.[3]

1ج. النحت:

- تعريفه:

الاشتقاق الكبّار أو النحت في أصل **اللغة:** هو النشر والبري والقطع. يقال: نحت النجّار الخشب والعود إذا براه وهذب سطوحه. ومثله في الحجارة والجبال.[4] قال تعالى: "وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين"[1].

---

[1] أبو الطيب اللغوي: الإتباع، تح: عز الدين التنوخي، ج1، د ط، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م، ص494/2-496.

[2] المرجع نفسه: 520/2 -521.

[3] إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ط9، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995م.

[4] "لسان العرب" و "تاج العروس" مادة (ن. ح، ت).

والنحت في **الاصطلاح:** أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذّة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها. ولما كان هذا النزع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمِّيَ نحتا[2]

وهو في الاصطلاح عند الخليل: "أخذ كلمة من كلمتين متعاقبتين، واشتقاق فعل منهما"[3]

ويعتبر الخليل بن أحمد (ت 175هـ) هو أوّل من أكتشف ظاهرة النحت في اللغة العربية حين قال: "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما، إلاّ أن يُشتَق فعلٌ من جمع بين كلمتين مثل (حيّ على) كقول الشاعر:

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي

فهذه كلمة جمعت من (حيّ) ومن (على). ونقول منه: حيعل، يحيعل، حيعل[4]

أ. صور النحت في اللغة العربيّة:

لقد ورد النحت في اللغة العربية على صور عديدة أهمّها[5]:

تأليف كلمة من جملة لتؤدي مؤدّاها، وتفيد مدلولها، كبسمل المأخوذة من (بسم الله الرحمن الرحيم)، وحيعل المأخوذة من (حي على الصلاة، حي على الفلاح).

ومما ورد في كلام العرب:

لقد "بَسْمَلَتْ" ليلى غداة لقيتها فيا حبّذا ذات الحبيب المبسمل

تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند قصد النسبة إلى المركب الإضافي إذا كان علماً كعبشمي في النسبة إلى عبد شمس، وعبد ري في النسبة إلى عبد الدار.

تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، تستقل كل كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال؛ لتفيد معنى جديدا بصورة مختصرة. وهذا النوع كثير الورود في اللغات الأوربية،

---

[1] سورة الشعراء: الآية 149.

[2] الاشتقاق والتعريب: للأستاذ عبد القادر المغربي، ص 13 – بتصرّف.

[3] العين: للخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، 60/1، ط. دار الرشيد ببغداد، سنة 1980م.

[4] المصدر السابق: 60/1.

[5] فقه اللغة العربية: د. إبراهيم محمّد نجا، ص56. – وقارن بـ: فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافى، ص 186 وما بعدها، والاشتقاق: د. فؤاد ترزي، ص 358، 359.

قليل في العربيّة وأخواتها السامية ولم تعرف منه إلا بعض ألفاظ نتيجة تخريج لبعض العلماء، من ذلك "لن" الناصبة، يرى الخليل أنّها مركبة من "لا" النافية و "أن" الناصبة. و "هلم": يرى الفرّاء أنها من "هل" الاستفهامية، ومن فعل الأمر "أُمَّ" بمعنى أقصد وتعال. وقيل: إنّها مركبة من هاء التنبيه" و "لم" بمعنى ضم.

ب. الغرض من النحت:

–تيسير التعبير بالاختصار والإيجاز. فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة بفضل النحت. مثال؛ رجل عبشمي "منسوب عبد شمس.

–وسيلة من وسائل تنمية اللغة وتكثير مفرداتها؛ باشتقاق كلمات حديثة، لمعان حديثة، ليس لها ألفاظ في اللّغة، ولا تفي كلمة من الكلمات المنحوت منها بمعناها.

2ج. أقسام النحت:

قام المتأخرون من علماء اللغة من خلال استقرائهم للأمثلة التي أوردها الخليل بن أحمد وابن فارس بتقسيم النّحت إلى أقسام عدّة، يمكن حصرها فيما يلي:

النحت الفعلي: وهو أن تنحت من الجملة فعلاً، يدل على النطق بها، أو على حدوث مضمونها، مثل: (جعفد) من: جعلت فداك (وبسمل) من: "بسم الله الرحمن الرحيم".

النحت الوصفي: وهو أن تنحت كلمة واحدة من كلمتين، تدل على صفة بمعناها أو بأشدّ منه، مثل(الصّلدم) وهو الشديد الحافر، مأخوذة من الصلد والصدم.

النحت الاسمي: وهو أن تنحت من كلمتين اسما، مثل (جلمود) من: جمد وجلد. و(حَبْقُر) للبرد، وأصله حَبٌّ قُرّ.

النحت النسبي: وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلدتي: (طبرستان) و (خوارزم) مثلاً، تنحت من اسميهما اسماً واحداً على صيغة اسم المنسوب، فتقول: (طبرخزيّ) أي منسوب إلى المدينتين كليهما. ويقولون في النسبة إلى "الشافعي وأبي حنيفة": "شفعنتي" وإلى "أبي حنيفة والمعتزلة": "حنفلتي""، ونحو ذلك كثير.

النحت الحرفي: مثل قول بعض النحويين، إنّ (لكنّ) منحوتة، فقد رأى القراء أنّ أصلها (لكن أنّ) طرحت الهمزة للتخفيف ونون (لكن) للساكنين، وذهب غيره من الكوفيين إلى أنّ أصلها (لا) و (أن) والكاف الزائدة لا التشبيهيّة، وحذفت الهمزة تخفيفا[1].

النحت التخفيفي: مثل بلعنبر في بني العنبر، وبلحارث في بني الحارث، وبلخزرج في بني الخزرج وذلك لقرب مخرجي النون واللاّم. وكذلك يفعلون بكلّ قبيلة تظهر فيها لام المعرفة، فأمّا إذا لم تظهر اللاّم فلا يكون ذلك، مثل: بنى الصيداء، وبنى الضباب، وبنى النجار[2].

2ج. صلة النحت بالاشتقاق:

لقد انقسم الباحثون من علماء اللغة إزاء نسبة النحت إلى الاشتقاق، إلى أربعة فرقاء:

الفريق الأول: ويرى "أنّ مراعاة معنى الاشتقاق (...) جعل النحت نوعاً منه: ففي كلّ منهما توليد شيء من شيء، وفي كل منهما فرع وأصل، ولا يتمثّل الفرق بينهما إلاّ في اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر على طريقة النحت واشتقاق كلمة من كلمة في قياس التصريف"[3].

الفريق الثاني: ويذهب إلى أنّ النحت غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقاقي. لذلك لا يصحّ أن يعد قسماً من الاشتقاق فيها. وحجّته أن لغويّينا المتقدّمين لم يعتبروه من ضروب الاشتقاق، وأنه يكون في نزع كلمة من كلمتين أو أكثر، بينما يكون الاشتقاق في نزع كلمة من كلمة. زد على ذلك أنّ غاية الاشتقاق استحضار معنى جديد، أما غاية النحت فالاختصار ليس إلاّ[4].

1د. الترادف والاشتراك والتضاد:

تنقسم الألفاظ-بحسب ارتباطها بالمعاني-أقساما أهمها ما ذكره سيبويه من أنها على النحو التالي:

1. اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، نحو جلس وذهب

---

[1] انظر: النحت بين مؤيديه ومعارضيه للدكتور فارس البطاينة، ص 122. نقلا عن: شرح المفصّل: لابن يعيش.

[2] د. إبراهيم أبو سكين، فقه اللغة، بتصرّف يسير، د ط، ص 23

[3] دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ص243-244.

[4] للدكتور فؤاد ترزي: الاشتقاق، ص363. وراجع: فقه اللغة وخصائص العربية: لمحمد المبارك، ص148، 149. وفقه اللغة العربية وخصائصها: للدكتور أميل يعقوب، ص 209 وهامشها.

2. اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين، نحو ذهب وانطلق
3. اتفاق اللفظين مع اختلاف المعنى، نحو وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة.

والقسمان الأخيران يعدان من وسائل نمو اللغة وسعة التعبير فيها عن طريق دلالة الألفاظ بما يسمى بالاشتراك والتضاد والترادف. [1]

أوّلاً: الترادف: هو ما اختلف لفظه واتفق معناه، أو إطلاق عدة كلمات على مدلول واحد، كالأسد والسبع والليث وأسامة ... التي تعنى مسمى واحدا. والحسام والسيف والمهند واليماني ... بمعنى واحد. والعربية من أغنى لغات العالم بالمترادفات.

أ. **تعريفه في اللغة:** قال ابن فارس: "الراء والدال والفاء أصلٌ واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء؛ فالترادف التتابع، والرديف الذي يرادفك" .[2]

ب. **وفي الاصطلاح:** عرف بعدة تعريفات متقاربة: منها ما عرفه به الجرجاني حيث قال: "المترادف: ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة". [3]

وعرفه – أيضاً – بقوله: " المرادف: ما كان مسماه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو خلاف المشترك ". [4]

قد أنكر بعض العلماء وقوع الترادف في العربية وحرصوا على إظهار الفروق الدقيقة بين الألفاظ المستعملة والتي يظن أنها من قبيل المترادفات، قال ابن فارس في الصاحبي " ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف، والمهند، والحسام.

والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى." [5]

وقال آخرون: إن الترادف واقع، وله فوائد، وهو قول كثير ممن ألف في هذا الباب كابن خالويه، والفيروز آبادي، وغيرهم.

---

[1] انظر: على سبيل المثال: (الصاحبي ص227)، والمزهر: 482/1 والاشتقاق والتعريب: ص13، وفقه اللغة: د.وافي، ص186

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط.1، دار إحياء الكتب العربية سنة 1366هـ، ص503/2.

[3] التعريفات ص199.

[4] التعريفات ص208.

[5] الصاحبي ص59-60.

غير أننا نلاحظ أن الترادف ظاهرة لغوية طبيعية في كل لغة نشأت من عدة "لهجات" متباينة في المفردات والدلالة. وعلى ذلك نرى أن الترادف واقع في اللغة العربية الفصحى التي كانت مشتركة بين قبائل العرب في الجاهلية، وكان من الطبيعي أن يقع على بعض الكلمات في القرآن الكريم لنزوله بهذه اللغة المشتركة، نحو (أقسم وحلف) في قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) وقوله (يحلفون بالله ما قالوا...) وقوله جل من قائل (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وقوله (تالله آثرك الله علينا)، في ترادف "فضّل" و" آثر".

ثانيًا: الاشتراك:

- المشترك لغويًّا:

"وقد اشتركا وتشاركا وشاركَ أحدُهما الآخَرَ، والاشتراك هنا بمعنى التشارُك، قال النابغة الجَعْديُّ:

وَشَارَكْنَا قُرَيْشًا فِي تُقَاهَا وَفِي أَنْسَابِهَا شِرْكَ الْعِنَانِ

ورجل مشترَكٌ: إذا كانَ يحدِّث نفسه أنَّ رأيَه مشترَكٌ ليس بواحِدٍ، وفي "الصِّحاح" عن الأصمعي: إذا كانَ يحدِّث نفسَه كالمهموم.

وطريقٌ مشترَكٌ: يَستوي فيه الناس، واسمٌ مشترَكٌ: تَشترِك فيه مَعانٍ كثيرةٌ؛ كالعين ونحوِها؛ فإنه يَجمَع معانيَ كثيرةً. [1]

- المشترك اصطلاحًا:

للمشترك اللفظي حدود شتى، أهمها:

قول الزبيدي في مقدمة "تاج العروس": إنه "اللفظُ الواحد الدالُّ على معنَيَيْن مختلفين فأكثر، دلالة على السَّواءِ عند أهلِ تلك اللغة".[2]

اختلف الباحثون في مسألة ورود الاشتراك اللفظي، فمنهم من أنكره، منهم ابن درستويه " فاللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية " [35].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، مادة: (ش ر ك).

[2] الزبيدي: تاج العروس، د ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م، مادة: (ش ر ك).

ومنهم من ذهب إلى كثرة وروده، فأورد له شواهد كثيرة لا سبيل إلى الشك فيها. والحق أن الاشتراك اللفظي ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغات العالم بما فيها اللغة العربية.

أرجع الباحثون سبب الاشتراك اللفظي في اللغة العربية إلى عوامل عدة، منها:

1. اختلاف اللهجات العربية القديمة، فمعظم ألفاظ المشترك جاء نتيجة هذا الاختلاف.
2. انتقال بعض الألفاظ من معناها الأصلي إلى معان مجازية أخرى. ومنها لفظ (العين)، فيطلق على العين الباصرة، وعلى العين الجارية، وعلى النقد من الذهب.
3. العوارض الصرفية التي تطرأ على لفظين متقاربين في صيغة واحدة، فينشأ عنها تعدد في معنى هذه الصيغة. ومن أمثلة هذا النوع (وجد) "وجد به وجدا إذا تفانى في حبه".

والجدير بالذكر أن السيوطي يعتبر ورود الألفاظ بعدة معان، أو اشتراك المعنى الواحد في ألفاظ متغايرة من قبيل الفطرة اللغوية، فيقول: "هي العرب تقول ما تشاء."[1]

ثالثاً: التضاد: هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، فهو، إذا، نوع من الاشتراك اللفظي، فكل تضاد اشتراك لفظي وليس العكس. ومن أمثلته: (الأرز) أي القوة أو الضعف، و (بلق الباب) أي فتحه كله أو أغلق بسرعة، و (الحميم) أي الماء البارد أو الحار، و (المولى) أي العبد أو السيد ... إلخ.

أعاد الباحثون وجود ظاهرة التضاد إلى أسباب عدة، أهمها:

1. دلالة اللفظ في أصل وضعه على معنى عام يشترك فيه الضدان. وقد يسهو بعضهم عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمتان من قبيل التضاد، مثل ذلك: (القرء) على الحيض والطهر، ومعناه الأصلي الوقت المعتاد، و (الزوج) على الذكر والأنثى...
2. انتقال اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازى، إما للتفاؤل، كإطلاق لفظ (البصير) على الأعمى، و (السليم) على الملدوغ، وإما للتهكم كإطلاق لفظ (أبى البيضاء) على الأسود، وإما لاجتناب التلفظ بما يكره كتسمية (السيد) و (العبد) بالمولى.
3. اتفاق كلمتين في صيغة صرفية واحدة، ومثال ذلك كلمة (المختار) بمعنى اسم الفاعل أو بمعنى اسم المفعول، و (المبتاع) بمعنى البائع وبمعنى المبيع... إلخ.

[1] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.

4.اختلاف القبائل العربية في استعمال الألفاظ، كلفظ (السدفة) بمعنى "الظلمة" عند تميم، ومعنى "الضوء" عند قيس، ولفظ (سجد) بمعنى "انتصب" عند طيء و "انحنى" عند سائر القبائل.

1. التغير الدلالي

للتغير الدلالي طرق مختلفة تسلكها الكلمات متى وُجدت الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية والنفسية المناسبة التي تؤدي إلى تغير الدلالة، وأهم هذه الطرق هي:

1أ. تخصيص الدلالة

وهو أن تتغير دلالة الكلمة التي كانت تدل على معانٍ كلية عامة لتصبح تدل على معنى خاص، ويمكن أن نميّز في مفردات العربية نوعين من التخصيص: تخصيص لم يؤدِّ إلى لحن، وتخصيص أدى إلى لحن:

* تخصيص لا يُعدّ لحنا: هي تلك التغييرات التي حدثت في عصور قديمة في العربية قبل زمن الاحتجاج أو أثناءه، ويدخل فيه أيضا تخصيص الوضع الاصطلاحي في ألفاظ العلوم كالفقه والكلام والفلسفة والنحو وغيرها.

المفردة	المعنى قبل التغيير	المعنى بعد التغيير
مأتم	اجتماع	اجتماع للعزاء
الطرب	خفة تصيب المرء	الفرح

*تخصيص يُعدّ لحنا: وهي تلك التغييرات التي حدثت متأخرة وبدون وضع علمي.

المفردة	المعنى قبل التغيير	المعنى بعد التغيير
الطهارة	النظافة	الختان
الوَرد	نَوْر كل شجر	زهر شجر معروف

2أ. تعميم الدلالة

وهو أن تتغير دلالة الكلمة التي كانت تُطلق على فرد أو نوع معين لتصبح تطلق على أفراد كثيرين أو على الجنس كله؛ ويمكن كذلك أن نميز في التعميم نوعين: أحدهما ما حدث في العربية منذ عصور قديمة فلا يُعد لحنا، ومنها ما حدث متأخرا فيعد لحنا.

*تعميم لا يُعدُّ لحنا:

المفردة	المعنى قبل التغيير	المعنى بعد التغيير
رجُل	أحد المحاربين الذين يسيرون على أرجلهم	الذكر البالغ من بني الإنسان
القافلة	العِير العائدة	العير

*تعميم يُعد من اللحن لحدوثه متأخرا:

المفردة	المعنى قبل التغيير	المعنى بعد التغيير
الاستحمام	الاغتسال بالماء المحمى	الاغتسال بالماء
شاف	تطاول ونظر	رأى

2أ. نقل الألفاظ لتشابه المعاني

وهو نوع من تغير مجال الدلالة بسبب نقل لفظ من معنى أو من شيء إلى معنى آخر أو شيء آخر بسبب مشابهة بينهما، وهذا ما يُطلق عليه الاستعارة. والمشابهة قد تكون:

مشابهة حسية شكلية، مثل:

رِجْل: عضو من أعضاء البدن، والرجل من القوس طرفها الأسفل أو الأطول والأغلظ، ورجلا السهم: حرفاه. ورجل البحر: خليجه.

مشابهة معنوية، مثل:

العين: عضو الإبصار، والعين: السيد، والذهب، تشبيها بالعضو بجامع النفاسة والأفضلية.

تبادل الحواس: وهي الحالة التي يُستعار فيها لفظ أو وصف لشيء يُدرك بحاسة معينة ليُطلق على شيء آخر يُدرك بحاسة أخرى، كما في:

أحمر صارخ، فلفظ صارخ يدل هنا على قوة اللون، وهي حالة تدرك بالنظر.

3أ. نقل الألفاظ لعلاقة المعاني

وهو ما يسمى في الاصطلاحات البلاغية بالمجاز المرسل؛ وهو تغير في مجال الدلالة يحدث عند نقل لفظ من معنى أو من شيء إلى آخر له به علاقة غير المشابهة، مثل:

المجاورة المكانية: حيث ينقل اللفظ من الدلالة على شيء إلى آخر يجاوره، في مثل: الظعينة: المرأة في الهودج، ونُقل إلى الدلالة على البعير الذي يحمل الهودج.

المجاورة الزمانية: وهو نقل لفظ من معنى إلى آخر لتزامنهما أو تقاربهما زمانا، مثل:

الربيع: مشتق من ربع بمعنى أقام، وأطلق على زمن الإقامة، وهو زمن معتدل البرودة يتميز بكثرة المطر والعشب.

الجزئية: حيث يُنقل اللفظ من الجزء ليُطلق على الكل، في مثل:

العين: عضو الإبصار، ثم نُقل إلى الجاسوس.

الآلية: وهو انتقال نقل لفظ الآلة إلى الشيء كله، في مثل: لسان: عضو من أعضاء البدن، ويُطلق على اللغة.

الحالية: وهو انتقال اللفظ من الحالّ إلى المحل، مثل: حُمَة العقرب: سُمّها، ويطلقها أهل الأندلس على إبرتها.

المُسَبَبية: وهو نقل من النتيجة إلى السبب، مثل:

الرّجْز: العذاب، ويطلق على سببه وهو عبادة الأصنام.

اعتبار ما سيكون: ومن أوضح أمثلة هذا النوع أسماء عدد من النباتات والثمار المشتقة من القطْع وذلك باعتبار ما سيحدث لها مستقبلا:

الحشيش: مشتق من حشّ بمعنى قطع العشب، وهو الحشيش: العشب المقطوع، ويُطلق في اللهجات الحديثة على العشب النابت.

4أ. نقل المعاني لتشابه الألفاظ

وهو نقل معنى من لفظ إلى آخر لتوهم أنّ بينهما علاقة دلالية، وهذا يحدث إما بسبب:

1. **الاشتقاق الشعبي:** وهو تحليل دلالي يقوم به الناس العاديون غير المتخصصين في تحليل مفردات اللغات، ومن أمثلته:

الزكاة: وهي الصدقة الواجبة، تشتقها المعاجم العربية من الفعل زكا بمعنى "نما وزاد؛" لأنها تزيد المال وتكثره. ولكن عند التأمل في أصلها نجدها مأخوذة من زكا بمعنى "أصبح نقيا، خالصا،" ومنه جاءت التزكية وهي "التطهير" كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء)[1] يزكون: ينزهون، وقوله: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)[2] ، زكاها: طهّرها. وبناء عليه، فالزكاة المعروفة أقرب دلاليا إلى معنى التطهير من معنى الزيادة؛ لأنّ فيها تطهيرا للمال والنفس وتكفيرا عن الذنوب.

2. **العدوى الصوتية:** وهي نقل معنى من لفظ إلى آخر لوجود تشابه لفظي بينهما، مثل: عتيد "حاضر" كما وردت في قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[3] وقوله تعالى: (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ)[4] ولكنّ بعضهم يتوهم أنّ معناها "شديد" قياسا على كلمتي شديد وعنيد لأنهما تقاربها في اللفظ.

---

[1] سورة النساء. الآية 49.

[2] سورة الشمس. الآية من 7-9.

[3] سورة ق. الآية 18.

[4] سورة ق. الآية 23.

3. رُقيّ الدلالة:

وهو التغيير المتسامي بتغيير معانٍ كانت عادية أو ضعيفة أو وضيعة إلى معان قوية أو شريفة، مثل:

رسول، كانت تعني المرسَل، ثم شرُف معناها لتدل على الواحد من رسل الله.

4. انحطاط الدلالة

وهي تغيّر دلالي معاكس لرقي الدلالة، بحيث يتغيّر معنى اللفظ من قوة وسموّ وتأثير في الأسماع إلى معنى ضعيف مبتذل، من ذلك:

الشيخ: المسن من الرجال، واستعيرت للكبير علما أو شرفا، ثم ابتُذل معناها في وقتنا الحاضر فأصبحت تطلق مجاملة على كثيرين لم يبلغوا درجة هذا اللقب.

الدراسة التطبيقية لعناصر المعجم في قصيدة " فهمت الكتاب ":

لا يخفى على من يدرس قصائد المتنبي أنّ الشاعر – على ما أوتي من علم باللغة – قادر على توظيف مفرداتها أحسن توظيف، ومتبصّر بأنّ مناط حسن التأثير حسن اختيار الالفاظ، وبراعة تأليف الكلام؛ أليس هو القائل:

أُ رَاقِصُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْراً فَأَقْتُلُهاَ وغَيْرِي فِي الطِرَادِ[1]

فيعمد الشاعر لاشتقاق الكلام تارةً، بغرض التأكيد في المعنى، والإصرار عليه ليبلغ به غاية الدلالة؛ ونعلم أنّ الاشتقاق ميزة في لغة العرب، قد تبلغ بصاحبها حدّ ابتداع مفردات جديدة، وبالتالي معانٍ مبتكرة لم يصل إليها أحد قبله، وفي شعر المتنبّي الكثير من الأمثلة.

1. الاشتقاق:

من الاشتقاقات التي ضمّنها المتنبي في أبياته، نذكر ما يلي:

[1] أبو البقاء العكبري: الديوان، تح: مصطفى السقا، ج1، د ط، دار المعرفة، بيروت، ص89م.

الكتاب؛ الكتب:

فهمتُ الكتاب أبرَّ الكُتُبْ فسمعاً لأمر أمير العربْ

في أول بيت من أبيات القصيدة، يصف الشاعر كتاب أميره بأبرّ الكتب، وذلك للدلالة على الرغبة في التلبية، ولفظة الكتاب تُطلق في عمومها على كل ما خُطّ باليد، والمتنبي يقصد بها رسالة سيف الدولة التي أرسلها مع ابنه للشاعر، طالبا منه اللحاق به في حلب.

أمر؛ أمير:

فَهِمْتُ الكِتَابَ أبرَّ الكُتُبْ فَسَمْعاً لِأَمْرِ أَمِيرِ العَرَبْ

اعتقد المتنبي، وذلك منذ وفوده على صاحب حلب، أن سيف الدولة أحرى بالولاء من الخليفة في بغداد؛ فيصفه بأمير العرب، وذلك لأسباب تتعلق بالمذهب: فسيف الدولة علوي (كالشاعر)، وكان العلويون يلقّبون أنفسهم ب: " بقيّة الله "؛ كناية عن مَنَعتهم واستبسالهم في قتال الروم وحماية الثغور، وكذلك لانشغال ملوك باقي الأمصار باللهو والمجون، وعدم نهوضهم بالذود عن الإسلام والمسلمين.

وشاة؛ وشايات:

وما عاقني غير خوفِ الوُشاةِ وإنّ الِوشاياتِ طُرْقُ الكذِبْ

ولا زال الشاعر يذكر الوشاة وفعلهم، فهم من أفسد ودّ الأمير له، وجعلوه ينأويشيح بوجهه عنه.

سَمَّيتُ؛ اسمِهِ:

ولو كنت سُمَّيتُهم باسمِهِ لكان الحديدَ وكانوا الخَشَبْ

يربأ المتنبّي بنفسه أن يسمّي أشباه الملوك باسم أميره " سيف الدولة "، والأليق أن يكونوا – إذا لزم الحال – سيوفاً من خشب لا أكثر.

2. المشترك اللفظي:

ويدخل تحت دائرة المشترك المعاني التي طرأ عليها تغيير، سواء عن طريق تخصيص الدلالة أو تعميمها؛ ونورد بعض الأمثلة لتجلية الفكرة أكثر:

أ. التغير الدلالي

الصَّلاَةُ:

وإنِّي لأُتْبِعُ تَذكاره صلاة الإله وسَقي السحُب

ينقل المتنبّي معنى الصلاة من معناه المتعارف عليه، وهو العبادة المفروضة في أوقاتها المعلومة، وكذلك قول " صلى الله عليه وسلّم "، إلى معنى غير معتادٍ؛ إذ يقصد به " الصلاة على الأمير، بقول صلى الله على الأمير ". وهذا من باب الإجلال والتقدير.

المطر:

وإنْ فارَقَتْنِيَ أمطارُهُ فأكثرُ غُدرانِها ما نَضَبْ

من معناه " الماء النازل من السماء "، إلى معنى العطايا والهِبات والنِعم، لكثرتها.

الرتبة:

وأَبعدَ ذي هِمّةٍ هِمّةً وأعرفَ ذي رتبةٍ بالرُّتَبْ

من معناها " المنزلة " ، إلى معنى الرجال ذوي القيمة الرفيعة؛ فسيف الدولة ممن يعرفون مكانة الرجال، ويُحسِنُ التمييز بين الغثّ و السمين.

بعيد:

فيقلقَ منهُ البَعيدُ الأناةِ ويغضَبَ منه البطيءُ الغضبْ

وهي تدلّ على النائي من المحسوسات، أمّا شاعرنا فيقصدُ بها امتداد حِلْمِ الأمير في حيّز الزمان.

ب. تخصيص الدلالة:

كتاب:

فهمتُ الكتاب أبرَّ الكُتُبْ فسمعاً لأمر أمير العربْ

التي طالما دلّت على المُصنّف في اللغة وشتّى العلوم، استُخدِمت من قبل الشاعر للإشارة إلى رسالة سيف الدولة، والعطايا الملحقة معها، وإيفادها على يد ابنه؛ كلّ هذا يندرج ضمنياً تحت تلك التسمية الجامعة.

مال:

إذا حازَ مالاً فقد حازهُ فتًى لا يُسَرُّ بما لا يهبْ

ومعناه الأصلي ما يملكه الشخص من متاع وأنعام، وانتقل للدلالة على النقد والمعادن النفيسة. والمتنبّي يخصّصه للدلالة على النّفائس من الأرزاق، والغنائم، والسّبايا؛ ليدلّ بذلك على عِظَم شوكة سيف الدولة وتنكيله بالأعادي، وبَسْطة يده في المنح والعطاء.

ج. تعميم الدلالة:

المطر:

وإنْ فارَقَتْنِيَ أمطارُهُ فأكثرُ غُدرانِها ما نَضَبْ

من معناه " الماء النازل من السماء "، إلى معنى العطايا والهِبات والنِعم، لكثرتها. وبذلك يتّسع المعنى ليصير أشمل وأعمّ.

3. الترادف والتضادّ:

- **الترادف:**

مباركُ الاسمِ أغرُّ اللقب كريم الجِرِشَّى شريف النّسبْ

عِلاوةً على ما تُحدِثُه هذه المترادفات من إيقاعٍ حسن في أذن السامع، فهي تُضفي لمسةً معنوية طيّبة، بفعل المصاحبات المتقنة السّبك؛ فكلّ صفةٍ تستدعي موصوفها دون غيره.

- **التضادّ:**

فأخبِثْ به طالباً قهرهُم وأخبِث به تاركاً ما طلبْ

يقول الشاعر: ما أخبث قائد الروم في طلبه قتل المسلمين، حتّى إذا أتاه سيف الدولة سُرعان ما ترك غايته، مُؤثراً الفرار كالجبناء.

ووقع المتضادّات هنا مستحسنٌ، إذ يُعبّرُ عن سرعة تراجع الدّمستق عن قتل المسلمين بالموازاة مع انقضاض سيف الدولة عليه لإغاثتهم.

4. الحقول الدلالية:

تخلّلت القصيدة حقولٌ دلالية فرضها غرض القصيدة، ألا وهو المدح. ومن هذه الحقول:

***الحرب:** جاءت في المقام الأوّل؛ والمفردات الدالّة عليها:

سبى / قناة / سلب / أطعن / خطّيّة / حسام / ضرب / الثغور / القُضُب / السبيب / العُسُب / قاتل / منايا / الغوث / العطب / ذدت / ردى / سيوف.

***مزايا الأمير**: البعيد الأناة / البطيء الغضب / الحديد / مبارك / أغرّ / كريم / شريف / آلائه / أمطاره / أبعد همّة / أعرف ذي رتبة / ...

خاتمة

خاتمة:

إذا كان معنى الخاتمة هو تلخيص النتائج التي توصلت إليها فإن من العسير علينا أن نلخص نتائج دراستنا هذه ذلك أن نتائج الدراسة التطبيقية واسعة وممتدة وتشمل جميع التحليلات برمتها فهي منبثة في ثنايا الدراسة. ولقد أسفرت مدى الدراسة لقصيدة فهمت الكتاب أثر الكتب عن النتائج الأتية:

1. ورد تكرار الأصوات في قصيدة فهمت الكتاب الكتب بوعي من الشاعر وقصد منه وليس عفويا.
2. استخدم المتنبي النظام المقطعي نظاما فنيا وجماليا من جهة، وارتبط أيضا بالحالة النفسية للمتنبي حيث ركز على المقاطع المتوسطة المفتوحة والمغلقة وهي تدل على نفسية الشاعر الهادئة الوادعة فالشاعر يمدح هنا ومن المعلوم أن غرض المدح لا تنفعل لها لنفوس وتضطرب به القلوب وهذا ما يدل على أن الشاعر كان يتمتع بالهدوء والاستقرار.
3. جاءت القافية في القصيدة مرتبطة بالدفقة الشعورية للشاعر وساهمت في تحقيق وظيفتها الإيقاعية والدلالية داخل القصيدة.
4. اقتضى البحث في دلالة الصيغ الصرفية دراسة دلالة الأدوات اللغوية المصاحبة لها وذلك للوصول إلى المعنى المراد بدقة

5. عبرت الصيغ الصرفية في أغلبها عن دلالات خاصة والتي كانت لها أثر كبير في إثراء اللغة وغناها.
6. تعد نظرية الحقول الدلالية من أهم النظريات الدلالية التي تجمع بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية في ألفاظ القصيدة.
7. تجلت القصيدة على حقول دلالية فرضها غرض القصيدة، ألا وهو المدح
8. جاءت الألفاظ الدالة على الحرب في المقام الأول من حيث عدد ورودها في القصيدة.
9. إدراج كل لفظة في مختلف الحقول الدلالية وإبراز المعنى الوظيفي للكلمة داخل سياقها فمصاحبة الكلمة الواحدة لكلمات أخرى يوضح معناها ويفك إبهامها.

ملخص

1. ملخص باللغة العربية:

العمل المنجز في هذا البحث يرتكز على دراسة قصيدة " فهمت الكتاب أبر الكتب " لصاحبها أحمد بن الحسين، الملقب بالمتنبي.

ينقسم البحث إلى فصلين كبيرين: كان موضوع الأول نبذة عن حياة الشاعر، والتعريف بعلم الدلالة.

أما الفصل الثاني، فكان موضوعه التحليل النحوي والصرفي، التحليل الصوتي، وكذا التحليل المعجمي لبعض أجزاء القصيدة.

أما هدف الدراسة فهو استخراج ملامح المعنى من خلال ما تخفيه الظواهر اللغوية.

1. ملخص باللغة الفرنسية

Résumé

Le travail mené dans cette recherche est axé sur l'étude du

Poème : "J'ai bien saisi votre sublime message " de son auteur Ahmed Ibn Elhosseyn, dit Elmoutanabbi.

La recherche se scinde en deux grands chapitres : dans le premier, il est sujet de la biographie du poète, ainsi que de la définition de la sémantique.

Dans le deuxième chapitre, il est sujet d'analyses morpho-syntaxique, acoustiques et lexicales de certains fragments du poème.

L'objectif étant de déceler les traits de sens cachés derrière les phénomènes de langue.

Les mots-clés	كلمات مفتاحية
sémantique	علم الدلالة
l'analyse morphosyntaxique	التحليل النحوي والصرفي
l'analyse acoustique	التحليل الصوتي
l'analyse lexicale	التحليل المعجمي
les traits de sens	ملامح المعنى
les phénomènes de langue.	الظواهر اللغوية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القـــرآن الكـــــريـــم برواية ورش.**

1. أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة، ج2، د ط، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، 1879، مادة دل.
2. أحمد شوقي: الشوقيات، ج2، د ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ت.
3. إبراهيم أنيس: دالة الألفاظ، ط7، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992.
4. بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، دار مازون عبود، بيروت، 1979م.
5. تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1409هـ-2004م.
6. أبو منصور عبد المالك الثعالبي: يتيمة الدهر في المحاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، ج1، د ط، دار الكتاب العلمية، بيروت،1993 م.
7. الجاحظ: الحيوان، ج3، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت.
8. الجرجاني الشريف: التعريفات، ج1، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت.
9. الجوهري إسماعيل بن حمادة: تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، ط4، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، لبنان، 1990م.
10. ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، جزءان، ط1، تح: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، 1985م.

11. حلمي بك محمد كمال: أبو الطيب المتنبي، حياته وخلقه وشعره وأسلوبه، د ط، إدارة مكتبة ومطبعة الشباب، مصر، القاهرة، 1992م.
12. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار الجيل، بيروت، 1986م.
13. حسين طه: مع المتنبي، مؤسسة هنداوي، د ط، القاهرة، 2012م.
14. أبو الفداء الحافظ بن الأثير: البداية والنهاية، ج11، د ط، مكتبة المعارف، بيروت، 1992م.
15. ابن خلدون: المقدمة، مج1، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1967م.
16. خالد الشايجي: المتنبي الشاعر الثائر، ج1، د ط، مجلة العربي، الكويت، 2006.
17. الذهبي شمس الدين بن أبي عبد الله، تاريخ الإسلام ووفايات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
18. نخلة أمين رشيد: الديوان الجديد، ط3، دار الأرقم، بيروت، 2003م.
19. الزركشي بدر الدين: بحر المحيط في أصول الفقه، ط3، تح: لجنة من علماء الأزهر، دار الكتب، القاهرة، 1424هـ-2005م.
20. سيبويه: تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة القاهرة، مصر، 1988م.
21. جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد جادي المولى وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الجيل، بيروت لبنان، د ط، 276.
22. شاكر محمود: المتنبي، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م.
23. البرقوقي عبد الرحمان: شرح ديوان المتنبي، ج1، ط2، دار الهنداوي، القاهرة، 1986م.
24. عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي العربية، د ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

25. علي العشري: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط5، مكتبة الرشيد، الرياض، 2003م.
26. العقباوي: ديوان المتنبي، تح اسماعيل، د ط، دار الحرم للتراث، الرياض، 2007.
27. أبو العباس بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج1، د ط، دار صادر، بيروت، 1987م.
28. عز الدين السيد: التكرير التكرير بين المثير والتأثير، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1998م.
29. العريان: علم الدلالة، ط1، دار المأمون، دمشق، 1979م.
30. العلوي محمد بن أحمد بن طباطبا: عيار الشعر، مج2، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
31. علاء محمد جبر: المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2006.
32. إبراهيم عبد الرحمان: قضايا الشعر في النقد الأدبي، ط1، دار العودة، بيروت، 1981م.
33. عبد الرحمان مراد مبروك، من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري.
34. الفراهيدي أبوعبد الرحمان الخليل بن أحمد: العين، ج7، تح: المهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984م.
35. أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تح: وشرح غطاس عبد المالك خشبة، دار الكتاب الجديد، القاهرة، د ت.
36. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، مادة ملل، 1998م.
37. ابن منصور أبو الفضل جمال الدين لسان العرب، مج9، دار الحديث، القاهرة، 2003م، مادة جهر.

38. محمد السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، د ت .
39. مصطفى السعدني: البيانات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م.
40. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، د ط، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، د ت.
41. النهناوي محمد بن علي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ط1، تح: رفيق الحجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.
42. ابن النجار: شرح الكوكب المنير، ط2، تح: محمد الزحيلي، نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م.
43. اليازجي ناصيف: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، د ط، دار الأرقم، بيروت، د ت.

الملحق

" فهمت الكتاب أبرّ الكتب "

1. فَهِمْتُ الكِتابَ أبَرَّ الكُتـــــبْ فَسَمْعاً لأمْرِ أمـــيرِ العَـــرَبْ
2. وَطَوْعاً لَهُ وَابْتِـــهاجاً بِـــــهِ وَإنْ قَصّرَ الفِعْلُ عَمـــــّا وَجَبْ
3. وَمَا عَاقَني غَيرُ خَوْفِ الوُشاة وَإنّ الوِشاياتِ طُرْقُ الكَـــذِبْ
4. وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلـــــــــيلِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ بَيْنـــــنَا وَالخَبَـــــبْ
5. وَقَدْ كانَ يَنصُرُهُمْ سَمْـــــعُهُ وَيَنْصُـــــرُني قَلْبُـــهُ وَالحَسَبْ
6. وَمَا قُلـــــتُ للبَدْرِ أنتَ اللُّجَينُ وَما قُلتُ للشمسِ أنتِ الذّهَـــبْ
7. فيَقْلَقَ منهُ البَعـــــــيدُ الأنَاةِ وَيَغْضَبَ منهُ البَطيءُ الغَضَـــبْ
8. وَمَا لاقَـــــني بَلَدٌ بَعْـــدَكُمْ وَلا اعتَضْتُ من رَبّ نُعمـــايَ رَبْ
9. وَمَنْ رَكِبَ الثّوْرَ بَعدَ الجَـــوَا دِ أنْكـــــــــرَ أظْـــلافَهُ وَالغَبَبْ
10. وَما قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ البِـــلادِ فدَعْ ذِكْرَ بَعضٍ بمَن في حلَـــبْ
11. وَلَوْ كُنْتُ سَمّيْتُهُمْ باسْمِـــــهِ لَكـــــانَ الحَديدَ وَكانُوا الخَشَـــبْ
12. أفي الرّأيِ يُشْبَهُ أمْ في السّخَا ءِ أمْ في الشّجاعـــةِ أمْ في الأدبْ

13. مُبَارَكُ الاسْمِ أغرُّ اللّقَـــبْ كَـرِيمُ الجِرِشَّى شرِيفُ النّسَـــبْ

14. أخُو الحرْبِ يُخدِمُ ممّا سبَى قَنَـــــاهُ وَيَخْلَعُ ممّـــــا سَـلَبْ

15. إذا حازَ مالاً فَقَدْ حـــــازَه فَتًى لا يُسَـــرّ بِـــمَا لا يَهَـــبْ

16. وَإنّي لأُتْبِـعُ تَذْكُـــــــاره صَـــــلاَةَ الإلـــهِ وَسَقْيَ السُّحُبْ

17. وَأُثْني عَلَـــيْهِ بِآلائِـــــهِ وَأقـــــرُبُ منْـــــهُ نَأى أوْ قَرُبْ

18. وَإنْ فارَقَـــتْنيَ أمْـــطَارُهُ فأكـــــثَرُ غُـــــدْرَانِهَا ما نَضَبْ

19. أيَا سَيفَ رَبّكَ لا خَلْـــقِهِ وَيَا ذا المَـــكـــارِمِ لا ذا الشُّطَبْ

20. وَأبْعَدَ ذي هِمّـــةٍ هِمـــةً وَأعرَفَ ذي رُتْبَـــــةٍ بالرُّتَـــــبْ

21. وَأطْعَنَ مَنْ مَسّ خَطّـــيّةً وَأضـــــرَبَ مَنْ بحُسَـــامِ ضَـرَبْ

22. بذا اللّفْظِ ناداكَ أهْلُ الثّغُورِ فَلَبّيْتَ وَالهَـــــامُ تحتَ القُضُـــبْ

23. وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الحَياةِ فَـعَـــينٌ تَغُـــورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ

24. وَغَرّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ العُدَا ةِ إنّ عَلـــيّاً ثَقـــيلٌ وَصِب

25. وَقَدْ عَلِمَتْ خَـــيْلُهُ أنّهُ إذا هَـــمّ وَهْوَ عَلـــيلٌ رَكِبْ

26. أتَاهُمْ بأوْسَعَ مِنْ أرْضِهِمْ طِـــــوَالِ السّبيبِ قِصَارِ العُسُبْ

27. تَغيبُ الشّوَاهِقُ في جَيْشِهِ وَتَبْـــــــدُو صِـــــغاراً إذا لم تَغِبْ

28. وَلا تَعْبُرُ الرّيحُ في جَــوّهِ إذا لم تَخَـــــــطّ القَـــنَا أوْ تَثِبْ

29. فَغَرّقَ مُدْنَهُمُ بالجُيــوُشِ وَأخْفَـــــــــتَ أصْوَاتَـهُمْ باللّجَبْ

30. فأخْبِثْ بِهِ طالِباً قَتْـــلَهُمْ وَأخْبِثْ بِهِ تارِكـــــــاً مَا طَـــــلَبْ

31. نَأيْتَ فَقَاتَلَهُمْ باللّـــــقَاءِ وَجِئْتَ فَقَـــــــــاتَلَهُمْ بالهَـــرَبْ

32. وَكَانُوا لَهُ الفَخْرَ لَمّا أتَى وَكُنْـتَ لَهُ العُـــــــذْرَ لمّا ذَهَبْ

33. سَبَقْتَ إلَيْهِمْ مَنَـــــايَاهُمُ وَمَنْـــــفَعَةُ الغَــوْثِ قَبْلَ العَــطَبْ

34. فَخرّوا لخَالِقِهِمْ سُـــجّدًا وَلَوْ لـــــم تُغِـثْ سَجَدوا للصُّلُبْ

35. وَكم ذُدتَ عَنهُمْ رَدًى بالرّدى وَكَشّـــفْتَ مـــــن كُرَبٍ بالكـــرُبْ

36. وَقَدْ زَعَـــمُوا أنّهُ إنْ يَعُدْ يَعُـــدْ مَـــعَهُ المَلِكُ المُعــتَصِبْ

37. وَيَسْتَنْصِرانِ الذي يَعْبُدانِ وَعِنْـــدَهُـــــــما أنـــهُ قَدْ صُـــلِبْ

38. ليَدْفَعَ ما نَالَهُ عَنْـــــــهُـمَا فَيَا لَلـــــــرّجالِ لهَـــــذا العَجَبْ

39. أرَى المُسْلِمِينَ مَعَ المُشْرِكِيـ نَ إمّا لعَـــــــــجْزٍ وَإمّـــا رَهَبْ

40. وَأنْتَ مَعَ الله فـــــي جانـِب قَليلُ الرّقادِ كَثيـــــرُ التّعَـــبْ

41. كأنّكَ وَحْدَكَ وَحـــــــدْتَـهُ وَدانَ البَـــــرِيّةُ بابـــنٍ وَأبْ

42. فَلَيْتَ سُيُوفَكَ في حَـــاسِدٍ إذا مـا ظَـــــهَرْتَ عليهمْ كَئِـبْ

43. وَلَيْتَ شَكاتَكَ في جِسْمِـــه ِوَلَـــــيتَكَ تَجْزِي ببُغْـــضٍ وَحُبْ

44. فَلَوْ كُنتَ تَجزِي بِهِ نِلْتُ منِـ كَ أضْعَفَ حَظٍّ بأقـــــــوَى سَبَبْ

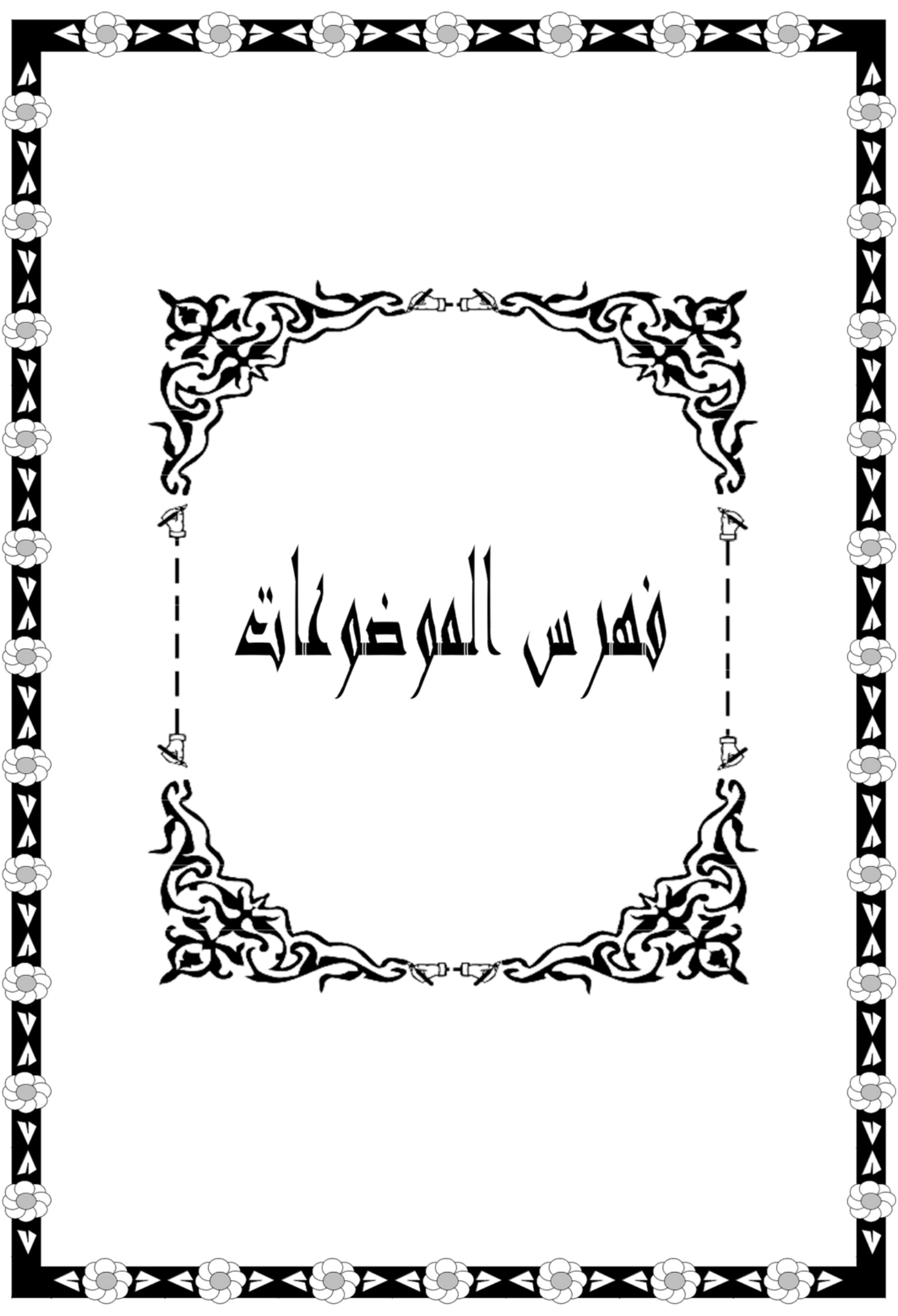

فهرس الموضوعات

فهـــــرس الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة
مقدمـــــــــة	أ،ب،ج
الفصل الأول: المبحث الأول: سيرة المتنبي	5
1. التعريف بالمتنبي	5
أ. نسبه	5
ب. نشأته	6
ج. حياته	7
ج.1: في رحاب أمير حلب	11
ج2. في مجلس كافور	16
ج3. في بغداد	17
ج4. فارس ثم القفول إلى بغداد	18
د. مقتل المتنبي	18
المبحث الثاني: الشعر مفهوما وشعرية المتنبي	19
1. مفهوم الشعر والشعرية	19
أ. لغة	20
ب. اصطلاحا	20
2. شعرية المتنبي	22
أ. ما قيل عن المتنبي	27
المبحث الثاني: التعريف بعلم الدلالة	29
1. تعريف علم الدلالة	29
أ. في المعجم	29
ب. في الاصطلاح	31
2.أقسام الدلالة	32

أ. عند الجاحظ	32
ب. عند ابن جني	34
3. أنواع الدلالات	35
أ. الدلالة الصوتية	35
ب. الدلالة الصرفية	36
ج. الدلالة النحوية	37
د. الحقل الدلالي	38
4. منزلة علم الدلالة	39
الفصل الثاني: المبحث الأول: دلالة الصوت في قصيدة " فهـــمت الكتـــاب أبرّ الكتب "	
أولا: تعريف الصوت	42
أ. لغة	42
ب. اصطلاحا	42
1. الأصوات الصامتة	42
أ. الجهر والهمس	43
ثانيا: الحركات	45
أ. دلالات الحركات	45
ثالثا: المقاطع الصوتية	47
1. تعريف المقطع	47
أ. المقطع الضعيف	48
ب. المقطع القوي	48
2. دلالة المقاطع الصوتية	48

تعريف الدلالة الصوتية	50
الصوت والدلالة	50
الدراسة التطبيقية لدلالة الصوت في قصيدة " فهمت الكتاب "	50
1. دلالة الأصوات الصامتة	51
2. دلالة الحركات	56
3. دلالة المقاطع الصوتية	59
المبحث الثاني: دلالة النحو والصرف في قصيدة " فهمت الكتاب أبرّ الكتب "	
أولا الدراسة النحوية والصرفية	65
1. الظواهر النحوية	65
أ. الحذف	65
1أ. قيمة الحذف ومزاياه	66
1ب. شروط الحذف	66
2. التقديم والتأخير	68
2أ. مفهوم التقديم والتأخير	68
2ب. أغراض التقديم	69
2. الظواهر الصرفية	70
أ. معاني أوزان المزيد	71
ثانياً: الدراسة التطبيقية للظواهر النحوية والصرفية في أجزاء من القصيدة "فهمت الكتاب":	
1. الظواهر النحوية	73
أ. الحذف	73
ب. التقديم والتأخير	75

2. الظواهر الصرفية	76
أ. معاني أوزان الأفعال في القصيدة	76
ب. معاني صيغ التعجب	76
ج. معاني صيغ التفضيل	76
المبحث الثالث: دلالة المعجم في قصيدة " فهمت الكتاب أبرّ الكتب "	
1. نمو اللغة	78
1أ. الإشتقاق في اللغة العربية	78
1.تعريف الاشتقاق	78
أ. لغة	78
ب. اصطلاحا	78
2. أنواع الاشتقاق	79
1ب.الإبدال في اللغة العربية	81
أ. الإبدال بين الصوامت	81
ب. الإبدال بين الصوائت (الحركات)	83
1ج. النحت	84
أ. لغة	84
ب. اصطلاحا	85
أ. صور النحت في اللغة العربية	85
ب. الغرض من النحت	86
ج. أقسام النحت	86
2ج. صلة النحت بالاشتقاق	87
1د. الترادف والاشتراك والتضاد	87
أولا: الترادف	88
أ. لغة	88

ب. اصطلاحا	88
ثانيا: الاشتراك	89
أ. لغة	89
ب. اصطلاحا	89
ثالثا: التضاد	90
1. التغير الدلالي	91
1أ. تخصيص الدلالة	91
2أ. تعميم الدلالة	91
3أ. نقل الألفاظ لتشابه المعاني	92
4أ. نقل الألفاظ لعلاقة المعاني	93
5أ.نقل المعاني لتشابه الألفاظ	94
الدراسة التطبيقية لعناصر المعجم في قصيدة " فهمت الكتاب أبرّ الكتب "	
1. الاشتقاق	95
2. المشترك اللفظي	97
أ. التغير الدلالي	97
ب. تخصيص وتعميم الدلالة	98
3. الترادف والتضاد	99
4. الحقول الدلالية	99
الخـــــــــــــاتمـــــة	101
ملخص باللغة العربية	
ملخص باللغة الفرنسية	
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	